نشر بتعضيد من الامانة العامة للثقافة والشباب
في الحكم الذاتي لكردستان العراق

إلى العظيم غورباتشوف:
تحية ورجاء

مسعود محمد

مطبعة الحوادث
بغداد ـ ١٩٨٨

نشر بتعضيد من الامانة العامة للثقافة والشباب
في الحكم الذاتي لكردستان العراق

إلى العظيم غوربا تشوف:
تحية ورجاء

مسعود محمد

مطبعة جوان
بغداد ـ ١٩٨٨

الى العظيم غورباتشوف : تحية ورجـاء

منذ القديم القديم تعلق البشر بالمستحيل. وشحذ الهمة الى ما لا سبيل اليه مدفوعا في ذلك بسببين من اسباب التوسع في الأمل ، اولهما سبب من طبائع الاشياء ينجم بذاته بلا تكلف فقد هدته تجربته اليومية عبر الزمان الى ان الدأب في تذليل المتعسر جدير ان يذلله في النهاية فاختراعاته كلها منذ بدأ في ثلم الصخور وشحذ العظام منذ عشرات الوف السنين حتى يوم نزل فيه على وجه القمر حلقات متصلة من تحقيق المتعسر والمتعذر .

والسبب الآخر للتساهل مع النفس في طلب المتعذر هو ان ما تعجز عنه القدرة ويرتد دونه الأمل يحققه الانسان بالتصور والخيال في احلام اليقظة فقد وجدنا الشعراء واصحاب المهارات الفنية شقوا دهاليز منعشة النسائم ناعمة المواطىء الى مطامح سابقوا فيها أهل العلوم والصناعات فبنوا بالشعر والفن والخيال عوالم من الأفكار والألوان والأضواء واقاموا جنات من العدالة والحق والجمال لم تزل كلها اشباحا متصورة يدب اليها تكنيك العلم وجهد المخلصين بعناء شديد فانهم على متن (بساط الريح) من نزوعاتهم المحلقة عانقوا اطياف السماء وساحوا بين النجوم قبل ان يطمع العلم في تذليل الجاذبية بأحقاب من الزمان . وانا اذ اتوجه اليك بنجواى

من ركني المتواضع الذي لا تراه العين لشدة خفائه ويغلته احساس المعنى بالدقائق لفضل صغره وتتخطاه المقاييس الالكترونية لانعدام خطورته ، فاني استعرت فيها بساط ريح الشعراء واهل الفن اختزل بـه في الخيال مسافات فلكية تفصلك عني حيث انت في قمة القمم من نهايات القوة القادرة واستودعت نجواى ورقـا تعشمت في وصوله الى مهـوى نظرك ما قـد تعشمه العلماء من الكبسولة الفضائية التي استودعوها معارف الارض الى اقاصى الكون لعل وعسى !

وقلب مثل قلبي نبض جل عمره في توافه الأمور وهوامش المشـاغل يأتي اليوم فيصطنع في نجواي هـذه ازدهاء بنفسه اذ ينبض في الخطرة الخطيرة والفكرة الجليلة بجلال الطرف الآخر الذي هو يحاوره ومـا أظن أهـل الخيال الا قد خامرهم ، مثلي ، احساس بالزهو وهم يعانقون في احلامهم ملكوت الازلية ويهمسون خطراتهم في سمع الابدية مغـادرين بتحليقاتهم وتلفيقاتهم ـ مثلي ـ مواضعهم في انعدام الوزن والتأثير والتغير وينسلخون من جلود محدوديتهم الى مراح بلا انتهاء ولا ابتداء يتدفقون فيه بالبلاغة والبيان بفخام الكلام فهنيئا لهم ولي هذا الغذاء الروحي الذي يرفع الحس والشعور الى حيث يختلط الرضا عن الذات بمتعة الراحـة في قضاء الواجب فما كـان تحليق الخياليين او مـا تصديت له مـن طلب المتعذر في التحدث اليك الا استجابة نزيهة لزخم من الأعماق باشـعال شمعة تضيف بصيصا من النور قد يساعد في اضاءة مساحة صغيرة مـن دنيـا الانسان ، ومن الثابت البديهي ان الجالس في اسـفل العمارة يرى التفاصيل بأوضح مما يراها الجالس على قمتها ، واستبيح لنفسي ان ازعم انه ليس يوجد شر خطير أو اثم كثير في تصدي واحد مثلي الى اشتات متناظرة أو متنافرة من همس ضميره فيلقيها في المهاب الاربـع لأنسام

اليمين والشمال والمشرق والمغرب محملة بما يراه اصدق بلاغ واخلص خطاب حوته جوانحه وشع به وجدانه وانفتق عنه وعيه منزها مـن أي شائبة قد تخالط النوايا من نزغ أو ميل أو تمويه فليس في الوجود بضاعة يعشقها الضعيف الذي يملك اى قدر من الفهم كما يعشق الصـدق في الحديث والنظافة في الطوية والسلامة في النية فالضعيف اقل الناس حظا من بركات الالتواء في التصرف والكلام فليس له سوى أمل واحد يتبعـه في الخيال الى تحقيق المعدلة والانصاف وهو شيوع مزيج اجتماعي مـن الصدق والبراءة والنزاهة فما من قسوة في الطبيعة وشـر في المجتمع تضطرب بهما الأحوال نتيجة ميلان الموازين الا كان الضعيف أول ضحايا نكاله وآخر الناجين من وباله . فالنجوى المرفوعة من فرد في شعب من الشعوب الضعيفة الى رأس فوق منكبي احد عملاقين طاولا كـل عمالقـة الازمان الماضية لهي نجوى تشهد بالبراءة لنفسها دون حاجـة الى براهين الاثبات وادلة التفنيد . ان اتصى ما يتعلق به أمل الضعيف المقهور من نعم الخداع محصور في نطاق ضيق على مقاس ضيق حياته كأن يغش فـي غرامات من الوزن أو اعداد من البيض والثلنم او أن يتلكأ في انفـاذ ما يؤمر به من أعلى وقد يكذب كذبات بيضاء مأمونة العواقب من العقوبـة وهي حقارات صغيرة تسربت الى اسلوب التعامل في عالمنا الثالث منذ القديم وزادت مع طول التخلف حتى شملت حركة بيادقنا على رقعة الشطرنج، لـكنها عديمـة الخطر وأتفه من ان تنال المصالح الكبيرة بالضرر . ثم هي منقصة يمارسها المقهور مع المقهورين امثاله وندر أن يلجأ اليهـا في اتصاله بالاقوياء ولقد قلت ان الضعيف المتسم بشيء مـن الفهم يعشق النظافة وسلامة النية عسى ذلك ان يوفر له الأمان من بطشة الباطش ولست اشك في اني اتسم بذلك القدر المذكور من الفهم بدليل اني اميز بين الفعل

والاسم في الكتابة واحرك القلم بشيء من اليسر في ثنايا الخواطر وهو فهم كف لنشدان الصدق سامعاً وقائلا ولحب المصارحة عبر حوار ذي طرف واحد لم تتحرك اليه نفسي الا طمعا في الخير المتصور من نقاء الغاية وصفاء العلائق بين كل الناس .

فيا ايها الرفيق غورباتشوف في البعد القصي على ذروة الذرى من القدرة التي ليس لها حدود وسدود في نظر امثالي من فاقدي القدرة : نازعتني نفسي نزاعا الى مناجاتك ما ملكت دفعه فتحللت من قيودي وانسلخت من جلدة ضعفي وانطلقت الى نجواك خارج مقاييس القوة والضعف بوصفي انساناً يوازي اي انسان آخر في معنى الانسانية وطلب الخير منذ كان على الارض انسان . وتخطيت ما بينك وبيني من موانع اللقاء في المسافات الهائلة افقيا وعموديا وفي قيود السفر واختراق الحدود ومحاذير الاقتراب من عرينك المحفوف بصفوف مرئية ومخفية من ضمانات السلامة وتدابير الأحكام والترصين وما لا احيط به من اجهزة المنع والردع وتوهين العزم فشددت اليك رحل السفر على متن الكلام متجاوزا متاهات الدوائر الرسمية في تحصيل جواز السفر وسمة المرور والدخول وما بعدها من الحوائج المتعبة في مشاق السفر من غملة صعبة ما ملكت يوما سهلها وصكوك المسافرين اراها في الاحلام ، واسترضاء هذا والتمسكن امام ذاك ثم يعيى بي الخيال تجاه باب الكرملين في الساحة الحمراء : كيف الولوج الى ما وراء حيطانها واين السبيل اليك بل الى اعوانك بل الى كتبة اعوانك بل الى ما دونهم من السعاة والسقاة وبقية الذوات من السادات والمسودات وكلهم اصحاب نظرات نارية تميزت بها حواشي الحكم في كل بلد قامت به ثورة فانقطع القائمون بها عن الناس ومصالح الناس وتواروا وراء متاريس السلطة تداعب أنامل حراسهم زناد

مدافعهم بوجه اي مواطن ساذج تقوده براءته نحو عروشهم المفروشة وصروحهم المنقوشة ولقد تجرع منها البسطاء عذاب المنون. انى اراك لين العريكة سهل الخلائق ميالا الى البساطة ولكن مستلزمات الحكم وما يحيط بها من تعقيدات الانظمة الثورية تخرج بلقائك عن مطمح الطيبين من الرعايا الا ما كان يحصل منه بتطوع منك في لقاء تسوته الصدفة مع الرفيق هذا والمستر ذاك والمسيو ذياك ولا يحصل قط مع الخالو بيروت او الكاكه هلوار من غوغاء الكرد فتخيرت منه عوضاً ممكناً بالاجتماع معك في الخيال ومحاورتك في رحاب الورق وهو أطهر بقعة تلتقي فيها حرارة الايمان بقدسية كيان الأنسان مع صفاء البصيرة في مصالحه . ولقد قالوا في الشعر : وللناس فيما يعشقون مذاهب .. وانا مذهبي في عشق الحقيقة ان يتوزع على صورها التي لا تحصى فكل الحقائق معشوقاتي . وقد يحصل الخطأ في تصوري ولكن تبقى لى فضيلة الصدق مع نفسي ومع الناس ويكون مزيج عشق الحقيقة ونشدان الصدق خميرة البلسم الذي يصونني من الثبات على الخطأ فلا توجد عندي عقيدة مهما كانت اساسية توازى قدسية الحقيقة . وتعلمون ان مجال الخطأ في الأمور المتغيرة كالسياسة والاقتصاد أوسع جدا من الخطأ في الأمور المختبرية او ذات البراهين الثابتة فمن أجل وافدح الاخطاء ان يعتنق الانسان عقيدة نهائية في اي شيء قابل للتغير ، ومن قبيل الجنون ان تنقلب العقيدة في السياسة والاقتصاد الى ايدلوجيا فأن ذلك جمود على قالب قد ينقلب الى تابوت . ومن هنا جاءت خطورة الدوام على اطراء الأخطاء التي لابست الثورة الفرنسية فقد كان منها انها نصبت نابوليون بونابارت الاها في مكان ملك . ولربما كان من حسنات تلك الثورة انها أكلت نفسها فجاءت العقول المتادة الناجية من عبث الايديولوجيات فسيرت مكينة

الحضارة والحياة بمقتضى دواعي الواقع ولكن خزعبلاتها بقيت مقدسة في طقوس اليسار وشعاراتها حتى هذا الزمان وستبقى ..!

واذا كان شر الاباطيل هو الباطل الذي يؤذي الانسان فأن خير الحقائق ما كان خادما للانسان ذلك ان الانسان في مقاييس الخير والشر المتواضع عليها أحق الأحياء بالرعاية فالخير نفسه بدعة بشرية خالصة يلتزم بها البشر في اوقات صلاحه وتنبع منها الرحمة فيصيب بعضها احياء من غير البشر أيضا .

والحقيقة التي هي ام الخيرات لا تكون مجدية بنفسها اذا كانت منقطعة عن علم الانسان وتعامله ففي الطبيعة مليارات مليارات الحقائق المغيبة ليس لها محل في موازين المصلحة الانسانية شأنها شأن الحقائق المعروفة على ايامنا كانت في الماضي مغيبة ومعطلة في مصالح البشر .

وتتعاظم فاعلية الحقائق بعظمة الجهة الانسانية التي تمارسها فأن علوم الاولين والآخرين وحكمة العصور الماضية واللاحقة تكون زهيدة الجدوى اذا اجتمعت في وعي انسان مسكين لا يسمعه أحد . ولقد كتبت من نحو اربع سنين قبل يومي هذا (٣٠-٧-١٩٨٨) ما يلي : والكلام في ضخام الامور يكون أوقع اذا صدر من فم شامخ - صفحة ٤٠ من رسالة « وجهة نظر في التفسير البشري للتأريخ » . ومن هنا بالغت في عشق الحق الذي يصدر من القادرين على عمل الخير ومنع الشر وهو نفسه السبب في اني عشقت مواقفك وآراءك في تقويم المعوج من شؤون دولتك . ودام ترقبي للمدى الذي تبلغه في كشف الحقائق المستورة التي تفاقم بها السوء في مجتمعك ، فلولا مركزك في قيادة الحزب والدولة لما كان مقدرا ان تقول او تفعل شيئا مما قلت او فعلت . وبفرض انك جازفت باعلان آرائك من مركز الضعف لما نال الدنيا مثقال ذرة من

الخير حتى ولو ضحيت بذاتك في هذا الطريق المستقيم . اقول هذا وأنا اعلم ان جدارتك الشخصية للقيادة هي التي اوصلتك الى الامساك بمقود السفينة ولكن الحقيقة الضخمة ستبقى متمثلة في ان امكانات منصب القيادة هي المعول عليها في الدرجة الاولى كي تثمر الجدارة الشخصية على نطاق وطني أو عالمي وهي نفسها سبب قدرة شرير مثل هتلر او ستالين في نشر الدمار المادي وفساد الضمائر بذلك المقياس الهائل .

ووجدتك ياسيدي وأخي دائبا في السعي الى غايتك المتوخاة في كل وجهاتها على قدر احتمال الاحوال من حولك لأرادة التغيير . ولست اعدو الحقيقة اذا قلت اني اشد الناس ابتهاجا بظهورك انسانا نبيلا محبا للخير بنطاق وطني وعالمي ظهر بشيء من التأخر عن أوانه واني ربما كنت في أول القائمة للناس الذين يحبونك ويتمنون النجاح لمسعاك فما أظن ان انساناً آخر يبلغ مبلغي في اعزازك والتلهف لغلبتك على العراقيل الخطيرة في مسار جهادك فاني في ركني المتواضع اكابد من نحو خمسين سنة شعور التفجع على الكوارث التي طحنت ومازالت تطحن زهرة الشباب المناضل في متاهات الافكار المضببة والانسياق وراء الحلول الجذرية الوهمية لمشكلات عصرهم والاحتراق بلهيب المعارك الجانبية المأفونة والانشغال بالتصفيات الداخلية في خلافات ايديولوجية لا تستحق التضحية لها بشاة جرباء فالأيديولوجيات المتصارعة التي ينخرط من اجلها شبابنا في الحرب منذ عشرات السنين كلها تقود الى النتيجة المهلكة التي جئت انت تحاربها بعد سبعين سنة من قيام الدولة السوفيتية . والواقع هو ان ابتلاء العصور الحديثة في نضال عموم اليسار بتقديس وتكريس الهرآآت المتطرفة التي نضجت ثم طفحت في الثورة الفرنسية من نحو قرنين حتى صارت نبراسا مضللا يقود خطى المندفعين الى المهالك ويثير

بعضهم على بعض ويحفر اخاديد مهلكة من تضخيم الفروق الطبقية بين صفوف سواد الناس ، تعود بالفجيعة الى ادهار قبل نصف القرن الذي حددته لماناتي • ولكن الذي يميز نصف القرن هذا عما سبقه من القرون هو لسع ناره التى تحرق بالملامسة فيميزها في احساسى عن نار اخرى للثورة الفرنسية وما بعدها لم تلسعني وانطفأت لولا رمادها الذى ما يزال يعتم نظر المناضلين الثوريين فقد كفى ان ماركسيا واسع الافق مثل بليخانوف يزكى الثورة الفرنسية من كل عيب • لقد كان حبي للحياة ونعمها الممكنة وفرص الامان والتعايش التى هي من طبائع المصلحة الانسانية يسوغ ميلي الى الأخذ بالاسلوب الديمقراطى السلمى في حل المشاكل ودفع العراقيل وتحقيق المكاسب فيميادين الكفاح السياسى بعيدا من التذابح والتناطح وتبادل التهم ومعارك التصفية بين المناضلين • وميلى هذا حكم بادانة التطرف في المعالجات فكان من طبائع الاشياء عندي ان انحاز الى اى انسان على وجه الأرض يقف بوجه (اللاواقعية) في السياسة ومناهج العمل ، ومن الواضح ان سلوك سبيل الواقعية وطلب الممكن في جو من شيوع التطرف والهوس السياسى في عالمنا الثالث يتطلب من المناضل الواقعي قدرا من الجرأة كي يستعمل خياره الحر بوجه تشنجات الطفولة اليسارية التي كانت بلغت حد الدروشة والذهول عن الذات • ومن الواضح ايضاً انه على قدر التخلف والفقر الاجتماعي في شعب من الشعوب تستفحل آفة التطرف والبعد من المنطق وهذا ما كان حاصلا في وطني كردستان وهو نموذجي في الافلاس الحضارى والاقتصادى فقد كفى انه لم ينشأ في مجتمعنا على مدى التأريخ صراف واحد يتعامل مع الناس بالنقود فالاقتصاد الكردى كان بمقاييس العصر ميتا لم يستطع ان يقدم زاداً تنمو به طبقة برجوازية • ومن هذا المستوى الواطىء البائس

كان المناضل الكردى يرفض اى مكسب من غير الاسلوب الثورى !! وبسبب وضوح الغباء في تطرف المناضل الكردى الطبقى الذى كان يمثل دور سانكوبانزا وهو يصارع دواليب الهواء (اذ كان المناضل الكردي يريد اعدام طبقة البرجوازية الكردية الميتة في رحم التأريخ) كان وصولى الى وجود الخلل في اصل الفلسفة التي يتبعها اليساري الكردى أمراً في غاية السهولة • وآمنت دون مناقشة بأن المناضل اليسارى الذى يقف بوجه طوفان السخافات في ساحة الحركة الوطنية أو الطبقية هو انسان اكثر اخلاصا من المتطرف وأوضح منه رؤية فكان بديهيا ان ألزم جانب تيتو ضد ستالين وان اكبر دجيلاس في كتابه (الطبقة الجديدة) وان افرح للخطوة التي خطاها خروشچوف في كشف جانب من أفاعيل ستالين • والواقع هو انى سبقت خروشچوف بضع سنين في تجريم ستالين وليس تخطئته فقد صارحت قادة التنظيمات الماركسية والشيوعية في مدينتي بان ستالين مجرم وسترفضه الشيوعية نفسها في يوم من الايام لانه لا يمكن ايقاف التطور مهما بلغ التزمت والتجمد كى يبقى ستالين بعد موته ربا يعبد في الشيوعية وكان ستالين لم يزل معبود اليسار بغباء عجيب • ومن هنا يكون تأييدى لموقفك من البداهة التي لا تحتاج برهانا واذا كان بينك وبيني من فارق في الموقف فهو أني لست في مركز قيادي محاط باعتبارات تحدد ارادتي في بيان كل الحقائق والتستر على بعض الجرائم والسكوت عن جانب من الخطأ والنقص في العقيدة السياسية او المذهب الاقتصادى •

ولى من التجربة الشخصية المرة في مردودات التطرف اليسارى على مصالح الشعب الذي انتمى اليه والتضحيات الباهظة العقيمة التي نقدمها قرباناً لسخافات الحلول الجذرية الوهمية منذ اكثر من ٤٥ عاما اسباب

خاصة تزيد من حقي في الجهر بفساد الاسس التى نهضت عليها عبـادة ستالين ثلاثين عاما • واذا كانت الجنايات الكبرى في قائمة ادانات ستالين تكفي بحد ذاتها لتجريم مئة ستالين في نظر عموم البشر ، ان الصفقة الخاسرة الصغيرة التي ساوم بها ستالين (قوام السلطنة) في التضحية بجمهوريتي (مهاباد واذربيجان) لقاء حصة من نفط تلك المناطق في جزئها المتعلق بمهاباد الكردية وما آلت اليه من اعدام قاضي محمد وزملائه في ميدان (چلچرا) كانت زيادة حرقة اطالت انبعاث رائحة الشياط من اللحم الكردى المحترق فوق جمرات الكانون الذي تدفأ به ستالين في بعض ايام البرد بشتاء اخفاقه في مسابقته مع قوام السلطنة • ومن مظاهر فظاعة الكارثة القومية في محنة مهاباد ان يكون فشل ستالين في مساومته على كردستان واذربيجان هو نقطة السلوى الوحيدة في الكارثة ذلك أنه بالرغم من الصورة الشوهاء القبيحة للصفقة المرذولة فقد بقى المناضل الكردي المسلح بالافكار الطبقية والمتدروش على اوهام الأممية مصراً على تمجيد ستالين في بيعه كردستان بالمجان بدعوى انه حافظ على السلام العالمى عن طريق التضحية بالجزء في سبيل الكل • فاذا كانت ربوبية ستالين في دين الأممية قد تأكدت عند الكردى بعد فشل الصفقة وتدشنت مجددا بدم الشهداء في مهاباد فأين كانت تبلغ هذه الربوبية من مراتب الوحدانية فيما لو نجحت الصفقة النفطية مصدقة لعبقرية وألمعية وضخامة العلم وفخامة الفراسة عند الصنم المؤله في محراب الاممية ، والد الشعوب والأخ الأكبر الاقدس لمناضلى الانسانية المتقدمة « ستالين » الكريم الرحيم الحكيم !! لذلك جاء فشله هو سلواننا الوحيده وليكن الرفيق غورباتشوف على ثقة مطلقة بان الأممى الكردى لم يزل مصراً على سلامة سياسة ستالين في موضوع كردستان واذربيجان ويرفض

التصديق لوجود اية سياسة بديلة شريفة لما اختاره ستالين وكفى ان يستشهد بمقولة « من لا يعمل لا يخطىء •• » كى يتجاهل سؤال من يسأل انه اذا كانت سلامة الأمن في الدنيا بهذا المقدار من الغلاوة والحلاوة فماذا كان المبرر ابتداء لبعث الآمال عند الأكراد والآذريين في الوصول الى حقوقهم القومية ما دام السلام العالمي سيقتضى ان تكون هذه الآمال ذبيحة المهرجان الذى سيقام احتفالا بالحفاظ على السلم والصداقة بين الشعوب • على اي حال ان الأممي الكردى لا يعترف بحدوث خطأ في اى من سياسات السوفيت ويحن الى ايام ستالين ويود لو طويت كل صفحة كشفت في النيل من ستالين ولربما كان ذلك سمة اليسار الأممى في عموم العالم الثالث لأسباب متعددة منها صفة التخلف الفاجع في تطور هذه البلدان ومنها ان عشرات الالوف من قادة الأممية واصحاب الشهادات والكتاب والفنانين المتخرجين في المعاهد السوفيتية من اهل العالم الثالث نموا وترسخوا واشتهروا بحب الستالينية ومنها أن شراسة الأساليب في الحقبة الستالينية تتوافق مع غالبية الطبائع للقائمين بالدعوة الى الحلول الجذرية والأستئصالية ومنها ان التراجع من اسلوب للنضال صار تأريخيا بطول الممارسة هو تراجع عن الايديولوجية التي التبست به وهى ساخنة في أوائل تطبيقها • على أنى أحب القول صراحة بانى لا أريد في استشهادى بواقع النضال الكردي الا زيادة توثيق لآرائي من حيث انى ارتكن الى الاستشهاد بواقع عشته وعاينته ولست بصدد القاء اللوم على صانع السياسة السوفيتية سواء في عهد ستالين أو غيره فهو لم يكن وكيلا عن الأكراد حتى اتهمه بخيانته لوكالته فاذا كان قد باع الأكراد في احدى صفقاته الفاشلة فقد أتاح لى ان أعرفه على حقيقته فأكرهه لفظاعته لا ان اعاتبه • ومنحنى الحق بعد ذلك في أن ابيعه او أبيع مصالحه اذا سنحت

الفرصة • وينحصر العتاب في حالة كهذه في الكردى الذى ينسى نفسه وشعبه فيحب المسيء اليه •

ولا اجد ضرراً في ان ازيد علمك باسباب استياء الكردي المحتفظ بوضوح الرؤية في مصالح قومه من بعض وجوه اخرى للسياسة السوفيتية منذ أوائل حكمها فقد علمنا شجبها للانتفاضات الكردية في العشرينات بزعم انها تخدم مصالح الأستعمار في تلك الأيام وكان الأنصاف يقتضى من ثوار اكتوبر ان يوسعوا نظرتهم حتى يجدوا حق الشعب الضعيف المهدد بالقهر من جانب دولة قوية في ان يذود عن نفسه بما في يده من اسلحة الدفاع فاذا حصل ان توافق هذا الحق البديهي لشعب مظلوم مع مصلحة للأستعمار أو للشيطان أو جراثيم الأمراض فالواجب شجب سياسة الجهة القوية التى دفعت الشعب الضعيف الى مناهضتها • واستأذنك هنا ان اقول ان موقف السوفيت من الشعب الكردى في العشرينات كان منطوياً على تناقض غريب في حد ذاته فهو كان يبنى صداقته مع اعداء الكرد بحجة ان اولئك الاعداء في خصومة مع الأستعمار فكان بذلك ينحاز الى جهة تفوق في ظلمها للكرد ظلم الأستعمار لغيره وبذلك يشجب للكردي حقاً اقوى من حق السوفيت لاختيار الاصدقاء لان الكردى كان في معركة البقاء والزوال على حين كان السوفيت يحمون مصلحة هامشية لهم بقياسها الى مصلحة الكرد المتمثلة في (حق الحياة) • ان لينين استقل قطاراً للقيصر الألمانى لتحقيق ثورة كان من نتائجها أن يتخفف الجيش الألمانى من كلفة الحرب على الجبهة الروسية فهل منعه هذا التوافق في المصلحة من تنفيذ نيته ؟ والشعب العربى اضطر في سبيل رفع ظلم طال به عناؤه أن يضم جهده الى جهد دول ساقتها الحرب الاولى لمصاولة الدولة القاهرة للعرب فهل من عتب عليه ؟ انا

اعلم ان ثورات الكرد كانت لصعوبة الظروف المحيطة بها اشبه بالانتحار ولكن ركوب الكرد مركب الموت لا يبرر مباركة قاتله واظن ذلك من قبيل بديهية لا تحتمل المناقشة • ومما يذكر في هذا المقام بمبعدة تامة عن فكرة العتاب هو أن تأريخ السياسة السوفيتية خال تماما من اى دعم لآمال الأكراد في احلك سنوات النضال الكردى فتكون صفحة العلاقات بين الكرد والسوفيت خالية من دين كردى للسوفيتى ويبقى لنا بعض العتب على احوال غير مريحة يجد فيها الكردى نفسه ببعض مواطنه ضمن الحكم السوفيتى فقد سمعناها من ناس اصدقاء لكم عاشوا معكم فاطلعوا على الأحوال من قرب وتأتى الأخبار بما وقع في الخلاف على ناگورنو كرباغ لترفع العجب مما يقع بالكردى من حيف وهو لا يجد من أرومته احداً يسانده • ونضرب صفحا عما حدث من اضطهاد دينى وعرقى وقع ببعض الاقليات عندكم في اواخر الحرب الثانية فانه محسوب على قائمة ذنوب ستالين غير المغتفرة • ومن الطريف ان اذكر لسيدى الأخ الرفيق ان الأممي الكردى يبرر سكوت السوفيت عن شأن الكرد بتبرير من الطف ما يكون فهو يقول : من هو الكردى وما خطورته وما وزنه السياسى حتى تنشغل به دولة عظمى كالاتحاد السوفيتى ؟ على حين يبنى موقفه المؤيد لكم على ادعائه بأن السوفيت صديق الشعوب الضعيفة فاقول أنا من ركني المتواضع بعد التنازل عن التحجج بكونكم اصدقاء للضعيف ، اقول انه اذا كان الكردى لا يحق له مطالبة الاقوياء بتأييد حقوقه بسبب ضعفه وانعدام وزنه فهو بهذا يكون ذا حجة اقوى في عدم انشغاله بمصالح الاقوياء فاذا كان لشدة ضعفه غير قادر على ان يكون (مخدوما) فكيف يقدر ان يكون (خادما) ؟ اقول هذا من زاوية الحقيقة المطلقة ومن زاوية ردى على الأممي الكردى الذى دأب منذ خمسين سنة يطلب من شعبه

تأييد مواقف السوفيت بالقول وبالعمل • ولعل ان يكون في ذلك شيء من التوضيح لغرائب المواقف الناجمة من تطبيق النظرية في واقع النضال وما اظنه خافياً عليكم •

ليس في الامكان ايها السيد الأخ شرح مجموع العوامل الموضوعية والذاتية التي اجتمعت في تجربتي مع الاحداث عامة ومع اتصال الكردى بالأممية خاصة وعبر ترصدى لابتعاد النتائج التي تمخضت بها الثورة البلشفية عن الوعود التي كانت تتدفق من فحوى الماركسية وبيانات المنفذين لها في العمل كي اصوغ في جمل مركزة مجمل الاسباب والمراحل التي بلورت موقفى المنتقد الذى تقرأه في هذه السطور ولعل ان تكون فيما تقدم بيانه كفاية من التوضيح لخلفية معاناتى وماجريات الاحداث والافكار كى انطلق منها الى صلب الغاية الأصلية من هذه المناجاة فأنا لا استسيغ مزج مرارة هذه الخلفية بحلاوة مواقفك لولا ان الضرورة تقتضيه فان اى نقص في توضيح موضوع مطروح للمناقشة يعود بالضرر على الهدف المطلوب منها • ولا اشك في ان ما سأقوله سيكون ـ وبالضرورة ايضا ـ اقل من المقدار اللازم لاضاءة الموضوع في كل حيثياته فمن الاشياء ما لا يمكن الخوض فيه علناً الا بالتلميح ومنه ما لا يمكن نشره بتاتا • ثم ان الاطالة في الشرح تستغرق من الجهد والوقت ما قد يتأخر به زمناً تموت فيه الفائدة من النشر فضلا عن ان الصحف لا تستريح الى اطالة غير منسجمة مع منطق الصحافة وقد يحدث ان انشر كلامي في احدى الصحف فاذا عز وجودها انتنيت الى نشره في رسالة •

انا ما تصديت لركوب هذا المركب الوعر في مناجاة رجل خطير مثلك وجازفت فيه بتأليب اشتات من الناس المختلفي المشارب والعقائد على نفسى في وقوفي موقفا يحتمل اكثر من تفسير اقله ضرراً ان يعتبره

خصمي وسيلة للاعلان عن الذات ، ما فعلت ذلك من اجل مباركة مسعاك فقط ولا من اجل عرض آرائي على نظرك فقط بل اني فعلت ذلك لرأى اساسى اريد بيانه في الذى يجب ان يتم انجازه كى يكون عملك مثمراً من كل وجه ومحققاً للهدف الذى ركزت عليه نظرك • افعل هذا رغم علمى بقصور موقفى عن ان يكون له قوة اقناع لزعزعة أصول رسخت جذورها •• افعله رغم علمى بتعسر او تعذر وصول كلامى الى مسمعك وتعسر او تعذر تسليمك بما اقوله في حالة وصوله اليك : افعله ليقينى من انه واجب في ذمتى وثابت في ضميرى وبداهة من البداهات التي تتداعى الى وعيي من مواقفك وآرائك التى تبلغني أصداؤها • ثم انى مدفوع الى مناجاتك بدافع لا يقاوم من فرط استفظاعي للاستهانة المهلكة من مناضلى اليسار بذهاب المصالح وخذلان الآمال وهدر الجهود واستفحال التشرذم ورفض الممكن والتعلق بالمستحيل خلال عشرات السنين من هذا القرن • فاذا كنت أيها الرفيق من موقع قيادتك تريد تحريك عربة طمست عجلاتها في الطين فانا امثل راكب الحوض الخلفي في عربتك لا املك نفسى من محاولة مساعدتك بالعين والحاجب واللهفة في الوجه والانفاس •• انك ياسيدى اخذت على عاتقك مهمة خطيرة تأتيها الصعوبة والعسرة من جهات شتى فانت تريد تعديل عود اعوج منذ سبعين سنة ولهذا الاعوجاج مناصرون يستقتلون ضد محاولة التعديل ويستندون في موقفهم الى اعتبارات شبه حاسمة ـ وان كانت باطلة ـ لا يسهل مسحها بفركة الأصبعين فقد مضى التأريخ خلال سبعين سنة في وطنك وهو يقدس كل ما هو معوج ويشوه كل ما هو صحيح حتى اصبح ترجح الباطل في السياسة والاقتصاد والايديولوجيا صبغة عامة شاملة لم تفلت صغيرة أو كبيرة في حياة الناس • لقد رأيت في فلم سوفيتى عرض في

تلفزيون بغداد قبل بضعة اشهر صوراً من الفساد والانحراف في تطبيقاتكم الاشتراكية ما كانت قابلة للتصديق لولا انها عرضت بأذن من دولة السوفيت وأنتجت بمالها وفنها • ان مجموع الفساد الذى رأينا بعضه في هذا الفلم هو من الفداحة بحيث يحتار الفهم في كيفية التغلب على مجموع الفساد المغيب في الاساسيات والخلفيات التى دفعت هذا المقدار الى العلن فهو فساد في قرارات انظمة الادارة والتوجيه والانتاج والتنفيذ والتوزيع •• حتى يبدو للعين كالورم الذى تقمص عضواً فصار هو العضو نفسه • فالتصدى لمثل هذه العلل هو في ذاته يرقى الى انتظار المعجزة حتى ولو لم يكن في الساحة معارض واحد يعرقل مساعى الأصلاح • فانت ياسيدى محاط في وطنك بالمصاعب الخطيرة في كل الاصعدة وهى مصاعب اتسمت بالقداسة لانها مستندة في شرعيتها الى (انجيل الثورة) ولا اعتبار لقول من يقول ان الانجيل نفسها بريئة من المساوىء التي نجمت من تطبيقها ، ذلك ان العلاقة السببية والنسبية بينهما تأصلت منذ البداية من حيث ان مراجع ثورية مخولة تخويلا شرعيا صلاحية التفسير والتطبيق استنبطت من الانجيل الثورى هذه الانظمة في كل المستويات ولم تهرب اليها من سراديب الرجعية والاستعمار والردة • وتعمقت جذور هذا التأصل بالتقادم واضفاء القدسية عليها سنة بعد اخرى في نغم متصل لم ينقطع لحظة واحدة في ليل او نهار فما من مرة فتحت الراديو على اذاعة روسية خلال الاربعين سنة الماضية الا سمعت تمجيدا لكل الانجازات التي ظهر شرها فيما بعد •

انك يا سيدي مجابه بعمل ضخم لا يظهر للمتفرج غير جزء صغير منه فهو في واقع الخلل والنقص والخطأ المطلوب علاجه يشمل كل المسافة بين انتاج البطاطا وبين الحفاظ على السلام العالمي فما من شيء في

الحياة السوفيتية تم اداؤه الا بأسلوب بعيد من المألوف وطبائع الأمور كما تؤدي طقوس العبادات وشعائر الاديان المتسمة بالغرابة فالمظهر الايديولوجي والسياسي كان هو المطلوب الأول في حراثة الأرض وتربية النحل خلال سبعين سنة فاذا تراجعت الزراعة الى التخلف ونـدر العسل في السوق ضجت سيمفونية تمجيد العبقرية التي هيأت الانتاج السوفيتي الى معجزات البتيخانوفية وما شابهها من مصائب الهراآت • انك يا سيدى في غالب الأحوال تجد نفسك في موقع من يريد ان يعالج مشاكل الثقافة الرفيعة فيضطر الى البدء باخطاء في الابجدية ، فالطريق امامك شاق معقد طويل لا تكفي فيه سنوات معدودات تقضيها انت في القيادة فيأتي بعدك ناس لا يعلم احد ماذا سيفعلون • ومن هذه الحقيقة الخطيرة يضيق بوجهك مجال اختيار الطريقة الحاسمة في المعالجة • ففي الظاهر لا يوجد غير اسلوبين يمكن اتباع احدهما في السنوات الباقية من مسؤليتك : احدهما ان تحاول معالجة نتائج الأخطاء الموجودة في الاساسيات الايديولوجية والتطبيقية فتكون كالطبيب الذي يعالج مضاعفات المرض وهى تظهر بألف صورة وصورة عبر الزمان ويبقى فرق عظيم بين مضاعفات تنجم من المرض ومن أخطاء تنجم من عيوب في اساسيات الحكم لأن أسلوب الحكم يمكن ان يدخله شر من خارج اساساته الخاطئة كأن يأتى ستالين فيفيض على اخطاء النظام بشرور نابعة من نفسه فيكون كالطبيب الذى يتعمد علاج المرض بغير دوائه فتزيد مضاعفاته • وخير الاحتمالات لأسلوب مداراة الخطأ ان تكون بمثابة ترقيع الثوب المثقوب في مواضع منه ويتفتق في مواضعه الأخرى تباعا •

فلا يبقى الا سلوك الاسلوب الآخر وهو التصدي لاخطاء الاساسيات التي تنبع منها اخطاء التنفيذ وهنا تبدأ حكاية بطول اسفار سندباد في البحار

السبعة ولكنا نختصرها الى القدر الذي يتم به المقصود من هذه الكتابة بلا زيادة وبكثير جداً من التجاوز وترك المواضيع والتفاصيل .

ولابد من القول ان غرائب الاحوال التي رافقت وجـــود الدولة السوفيتية في ديمومتها منذ اول يوم تأسيسها ليست وليدة الصدفة أو بعمل شيطاني من هذا او ذاك أو تحريف المندسين او معاكسة الاحوال فلكي تصبح روسيا مستوردة للغذاء وهي صاحبة أوسع مساحة مـــن الارض الخصبة واغزر المياه على امتداد قارتين فلابد من وجود سبب اساسي دائم خارج احكام سوء الحال أو سوء النية والا جاز رد السبب في اي فشـــل بالدنيا الى الارواح الشريرة او ان نجاح الزراعة في كندا وفرموزة مـــن صنع الملائـــكة .

لولا خطأ في اساسيات النظام الأجتماعي بوجوهه المختلفة مـــن سياسية وادارية واقتصادية وغيرها من حيثيات الاجتماع لما كان يمر فـــي الوهم أن تصاب ارادة البروليتاريا بالشلل في دولة البروليتاريا وتتباعـــد مستويات القوة والضعف في شرائح مجتمع يدعى انـــه لا طبقي ويسخر فرد واحد الوجود السوفيتي لمطلق رغبته خلال ثلاثين سنة في ظل نظرية ترد الفاعلية الى المجتمع .

لولا هذا الخطأ في الاساسيات لما انتهت حياة تسعين بالمئة من مؤسسي الدولة السوفيتية بالتصفية ترافقها تصفيات جماعية في كل الأصعدة وينقلب المتفرجون الى قطعان معدومة الاحساس بما يقع فلا تسأل مجرد ســـؤال عن السبب في تفاقم الذبح بعد ثورة جاءت لتخليص الرقاب !

لولا خطأ في الاساسيات ياسيدي وأخي لما انتصب جدار برلين كعلامة استفهام ضخمة عن كيفية انقلاب فلسفة (الجدار) ضد نفسها فاســـتدار

حول اهل الدار كجـــدران السجون حتى لا يهربوا ! والمفروض انهم عائشون في جنة الامان والطعام !

انا اعلم ايها السيد الأخ خطورة تحـديد منـابع الخطأ فليس فـي الأمكان التحايل بالتأويل والافتعال لتنصيب (كبش فداء) مقنع عوضـاً عن المصدر الذى نبعت منه الاخطاء في ترجمة افكاره الى عمل وهو فلسفة الدولة التى قامت عليها الثورة باصرار من لينين وصحبه في وجه معارضة من آخرين كانوا يرون الوقت مبكرا على اى هدف ابعد من الديمقراطية اللبرالية . واوضح ان تخطئة الماركسية هي كتخطئة الكتب السماوية في نظر رجل الدين لانها حلت في القدسية عند المؤمنين بهـا محل التوراة والانجيل والقرآن معاً ولم تزل كذلك في نظر غالبية اليسار الطبقي فـي العالم الثالث ويتهيبها بقية اهل اليسار فيتحاشى نقدها ما امكن .

وبفرض انك أدركت عن قناعـــة عدم صلاح الماركسية التقليدية منهاجا للعمل فليس اعلان ذلك بالأمر السهل عليك ولا المأمون العواقب لان رد الفعل السلبي المتولد منه في داخل بلدك وفي خارجه بين عمـــوم الماركسيين لا يمكن التنبؤ بمقداره . اذا كان ماركس لم يتردد في تخطئة كل العقائد التي سبقتها كلياً أو جزئيا فأنه قد احتاط لصون نظريته مـــن التحديات الكبيرة حين ربط بينها وبين مصلحة المسحوقين بأحكام شديد حتى صار مسها يعني الكفران بمصالح الشغيلة واحتوى فيها الماضي والمستقبل واقام بها الوشائج بين حقائق الطبيعة ومقولاتها فأطبقت على الوجـــود كما اطبقت الكتب السماوية على خلق الله رب العالمين للكون في ستة أيام فما تركت الماركسية للعقول فسحة الأجتهاد وكـانت تسميتها بالأشتراكية العلمية لاحقـاً اضافة قدسية الى تمـــام قدسيتها ادانت مسبقاً معارضيها ومنتقديها بالجهالة لأنهم يقفون بوجه شيء (علمي) مقطوع بصحته .

لقد مر فضح ستالين بسلام ولكن لينين لم يزل فوق النقد يتمتع بحصانة الانبياء فكيف بالماركسية التى هى في نظر الشيوعية منبع كل الفضائل !

هذه الملاحظات ربما كانت ضمن جملة عوائق خطيرة تحد مقدار حريتك في التصرف ولكنها لا تلزمنى بشىء فانا اقول رأيى فيما مهدت اليه من وجوب تصحيح البناء الأجتماعي (بمعناه الشامل) للدولة السوفيتية ولولا هذا المطلب فلا مبرر أصلا في رفع نجواى اليك .

واول شىء يجب قوله حسب رؤيتي هو ان الماركسية ليست (فلسفة) بقدر ما هى (سياسة) تستهدف غاية مرسومة سلفاً ولكنها معروضة في نظريته على أنها مستقاة من حكم التطور كى يفرضها على مستقبل كل البشر وهى انشاء دولة بروليتارية اختفت الطبقات المستغلة من تكوينها وحذف منها الاستغلال بشكل كامل يمارس الحكم فيها ناس لا تملك غير ترة عضلها . هذا الهدف هو النبراس الذى يهتدي به ماركس في بناء نظريته فتراه في الجانب التأريخي منها يتمسك بقوة (العضل) مفسراً لتسلسل المراحل التأريخية بدء بالشيوعية البدائية وعبر الرق والاقطاع.. فهو في الحقيقة يفسر التأريخ (تفسيرا عضليا) في الدرجة الاولى وتأتى المادية وعاء للمضمون الذى هو العمل العضلي . وفي رأيي تكون غلبة مصطلح (المادية) على نظريته التأريخية منطوية على غبن واضح لدور العضل فضلا عن أنها تقطع في الظاهر صلة تطور المراحل بارادة البشر فكأنها موكولة الى المادة فقط في حين ان نسبة التطور الى العضل او العمل تستبقى هذه الصلة لان العضل شىء بشرى . ولكن تسمية (المادية) جاءت بشكل عفوى او مقصود عاملا مخففا من قسوة الصراحة في تجاهل دور (الابداع ـ العقل) في التطور التأريخى لان تفسير هذا التطور بالقوة

العضلية دون قابليات الابداع في الانسان يضخم تحيز التفسير المذكور للجانب غير الواعي في الانسان على حين يكون اقتران التطور بالمادة في عنوان النظرية التأريخية قد تحاشى اثارة تلك المفارقة الباعثة على الاعتراض ويكون قد احتفظ للعضل في الوقت ذاته في تعاقب المراحل على محور العمل وحده بكل الدور من مرحلة الى مرحلة حتى نهاية الشوط حين يتم تسليم الحكم الى (العضل) بتحيد كامل لدور الأبداع . انى اميل الى الاعتقاد بان ماركس وزميله انجلز قد اختارا مصطلح (المادية التأريخية) بعين مفتوحة لان العبقرية الواضحة في الجمع بين تجنب الاعتراض الآتي من مصطلح (العضلية التأريخية) من جهة وبين ترويج المراحل من قوة العضل وحدها أظهر من ان يتجاهلها الانسان برد عنوان (المادية التأريخية) الى الصدفة او الى مجرد ضخامة دور المادة في نظرهما .

ماركس واحد من افذاذ البشرية سواء في سعة مداركه ومعارفه أو من حيث قوة الارادة في تحقيق هدف أصر على تحقيقه أو من حيث الجرأة في مناقضة كل العقائد السابقة عليه في الاجتماع او من حيث احداث شرعة تجذب اليها اكداس هائلة من البشر تكون كثرتها العددية سببا كافيا لقلب موازين التأريخ . ولكى تستكمل شخصيته ملامحها ينبغي القول انه كان انسانا متحديا بزخم كبير ظهر في كثير مما قاله فهو لا يكاد يترك عقيدة واحدة في ميادين اهتمامه الا وضع لها بديلا من صنعه فهو كالرسام الذى يملأ مساحة لوحته كلها بالالوان المختارة فلا يترك فيها اى فراغ . ومن طبيعة مثل هذا التحدي ان ينكر الحقائق الخطيرة التي تعترض نظريته فيكون خطأه في هذا الانكار بضخامة تلك الحقائق . ومن جملة هذا النوع من التحدي بناء مراحل التأريخ

على اساس عضلي (او مادى) فقد كان من شأنه ان يتجاهل بزوغ الوعي في الانسان كأول مرحلة تأريخية فلا يوجد مجتمع او تأريخ او عمل بشري قبل بزوغ الوعي • وقد أدى ذلك الى القول العجيب بان العمل خالق الانسان ولو كان ذلك صحيحا لوجب ان يصبح القرود والدبة كلها بشراً لأنها جميعا تعمل وتدأب في العمل• ليس هناك في سياق التطور التأريخى (او الاجتماعى بتعبير ادق لأن التأريخ هو الأجتماع) عمل من غير عقل فالعمل الغريزى أو الآلي وما في حكمهما عقيم اجتماعيا فلابد من وجود الانسان كي يكون عمل ما اجتماعيا مؤديا الى التطور الاجتماعى• وهذه بديهية ما كانت بحاجة الى مناقشة لولا سبق التزام بما يخالفها • فاذا كان من شأن القول بخالقية العمل ان يقتل أولوية العقل في التطوير فقد اصبح من باب تحصيل الحاصل ان يتم تجاوز ثمرات الابداع البشرى من كتابة وفنون وعلوم وتأسيس دولة ونشوء عقائد علامات طريق في مسار التأريخ وهي في الحقيقة مراحل الحضارة كاملة •

هذا التفسير العضلي للتأريخ هو نفسه الذى يظهر قويا مدويا في القول بان تطور وسائل الانتاج يؤدى الى تطور علاقات الانتاج فأنه اذا كان العضل قد تقدم على العقل في التفسير الماركسي للتأريخ فمن البديهي ان تتقدم الآلة وهى كلها عضل على الأنسان نفسه في بناء المجتمع •

سيدي الرفيق :

انه لكارثة ان تحل الآلة محل الانسان في تفسير الاحداث خيرها وشرها • ومن قبيل كارثة ثانية ان يتم هذا التبديل في سهولة تبديل زر للقميص بزر آخر • ومن قبيل كارثة ثالثة أن تعمى العيون عن الحقيقة البسيطة الصارخة المتمثلة في ان البشر يتطور اولا فيطور وسائل انتاجه :

لقد تساهل الملحدون في تنصيب الطبيعة في مكان الخالق دون ان يتكلف ايجاد تفسير مقنع لحدوث روائع مذهلة في المخلوقات يعجز عن جزء • مليون جزء منها كل علماء الأرض ولو أحصيت معجزات اللمحة الواحا في بصر العين لما امكنك فيأتون بالطبيعة الخرساء صانعا بمستوى الخال نفسه في العلم الكلى والقدرة الكلية وانه لمن قبيل تسخيف الذكاء فينا أ نلتزم بالموضوعية وقانون السببية وكوامن النوعي فينا لكى نجد مهار البشر في خطين متصالبين نجدهما في كهف سكنه البشر من عشرين الف سنة فلا نساق الى القول بعامل الصدفة في تصالبهما ولكن نسارع : توقف وبفخر واعتزاز الى القول بان الانسان الذى رسم ذلك الصليب تدرج حتى غزا السماء ، هذا الانسان المحير بتكوينه وعقله وغرائزه • نفسه ابن الصدفة أو اقتضاء الطبيعة الحمقاء • على اى حال بادر الملاحا الى انكار مطلق الغيب في كثير من العجلة وشيء غير قليل من النف تخلصاً من ازعاجات كثيرة في مقدمتها فكرة الثنائية وما تضمن من صعوبة التوفيق بين القول بقدم الخالق وحداثة المادة على ما فيه من الحير في نشوء الشيء من لاشيء • ومنها مناقشة المؤمنين بالغيب في تفاصيل الاديا والقول بالمعاد حتى انهم رفضوا الهدنة بين صعوبة وجود الخالق والطبي عن طريق مذهب Pantheism (تأليه الكون) الذى يجمع الخال والمخلوق في صيغة واحدة ، فيأتى التفسير العضلى ويسارع ابتداء ا تصديق الالحاد من باب الانسجام مع النفس في وجوب اطلاق المادة م اي علاقة لا مادية قد تعرقل تفرغ العضل والمادة احداهما للأخرى يقدم دور العضل على قوة العقل تمهيدا لتسليم الحكم في نهاية مراحا التأريخ الى العضل نفسه • وكانت المادية من الوجهة الفلسفية غير محرج في التسليم بدور العقل والابداع في التطور لان وجود العقل لا يقب

الانكار فهو في غير حاجة الى الانبياء والبراهين الخفية والمرئية لاثباته كما يطلب اثبات الخالق تلك الكلفة بل كان العسر كل العسر في تقديم المادة أو العضل على العقل في الفاعلية التطويرية بل حتى في تفسير البصل. لكن المادية لم تكن فلسفة خالصة بل هى سياسة كثيرة ممزوجة بخميرة فلسفة فكان من قبيل الضرورة ان تتقدم الآلة على الانسان ويتقدم العضل على الوعي حتى يمكن تنصيب صاحب العضل في آخر المطاف حاكما على الدنيا . ومن هنا يكون غير مستغرب ان يكافأ العامل غير الماهر باكثر من الطبيب في اى نظام يأخذ بالعضل مفسراً للتأريخ وتتفى الغرابة ايضاً أن تتأخر صناعة العضل عن صناعة العضل الممزوج بالوعى او الوعى المستعين بالعضل كما تأخرت في الدول الشيوعية عنها في الرأسمالية . ومن الصدف اللطيفة انى قلت في الصفحة ١١٧ من رسالتي الموسومة (من هموم الحياة ـ طبع ١٩٨٨) ما يلى : لعمرى ان تفضيل العامل غير الماهر على المبدعين هو اكثر شيء اتساماً بالعقلانية والمنطق في ربط التأريخ والاجتماع بوسائل الانتاج دون الانسان .

فيا سيدى الرفيق كيف تستقيم أمور البشر وتزدهر قابلياته الخلاقة في اى ميدان من ميادين الابداع المنتج في ظل فلسفة (والأصح : سياسة) تعتبر العضل علة العلل في التطور التأريخي ؟ لقد بلغ من غرامها بالعمل العضلي ان اعتبرت الشيوعية البدائية اولى مراحل التأريخ مع ان كثيرا من البهائم تشارك الانسان في هذا النمط من التغذى ! مفهوم ان يبرع العضل في الرياضة البدنية والشطرنج وحمل الاثقال وكل عمل آخر قوامه العضل بالدرجة الأولى والمران ثانيا أو قد يكون المران أولا ولكن لا يمكن الركون الى العضل في أى أمر يعتمد الذكاء . لكن الكلام هنا قد ضاق مجاله بحصره في المقارنة بين العمل العضلي والعمل المبدع فالانسان

مجموعة مشاعر وقابليات تعمل سوية فالابداع لا ينفصل عن الكرامة وهى مرتبطة باحترام الارادة وكلها متصلة بالحافز وظروف العمل والصلة بين الرئيس والمرؤوس .. الخ ويمكن الالتفاف حول بعض هذه العوامل ببذل المال الكثير لأصناف معينين تحتاج الدولة نوع اختصاصهم ، وتفاصيل اخرى يرد بعضها ضمن باقي الكلام .

وتأتى الصعوبة الكبرى في تقديم دور العضل والآلة على العقل والأبداع من ان واقع الانتاج والتسيير والتكنيك والبرمجة تضطر السلطة في الحكومة المبنية على التفسير العضلى الى الاستعانة بالمبدعين فتستدير حول نفسها وحول النظرية لتلجأ الى المهندسين والفنيين والعلماء واهل التكنيك واصحاب المهارات فتستعين بهم لتمشية مكنة الدولة والانتاج والنقل وغزو الفضاء وكل المرافق الحديثة التى لا يستطيع العمل العضلى التعامل معها وهى تفعل ذلك بالتسخير ـ كما اعتقد ـ وبسكوت تام عن الدور المتميز والحاسم لأولئك البشر وتتفنن في تخريج مجمل الأمر بصيغ مبتكرة متنوعة للتغلب على التناقض الظاهر بين اعتبار العمل هو كل التأريخ وبين الاضطرار الى تسليم لب لباب الحياة ناساً من خارج العمل العضلي وهى عملية تمويه لم تكن باحد حاجة اليها لولا غرام النظرية بابتداع شرعة في الحياة لم تكن معروفة وكان من تمام الاغراء في هذه الشرعة لعبقرية صاحبها (ماركس) ان ربط فيها بين الطبيعة وبين الانسان عن سبيل اخضاعهما الى (دايلكتيك) يقود موضوعاته المختلفة للانصباب في ختام واحد . وواضح ان التناغم بين الطبيعة والانسان يكون اقرب الى التصديق اذا ارتبط تقدم الانسان بالعمل دون المهارات لان الطاقة والحركة والحدث موجودة في الطبيعة لكن ليس فيها فهم وعقل ومهارة .

الواقع ياسيدى هو ان الانسان تميز من الوجود كله تميزا حاسماً لا يسمح بالتداخل نتيجة اكتسابه العقل فكما ان الاحياء تميزت عن الطبيعة الميتة بطاقة الحياة كذلك تميز الانسان عن المادة الميتة والكائن الحي بعامل العقل فالتفسير المادى لا يصلح لغير الطبيعة والتفسير البايولوجي يشمل الاحياء غير العاقلة • والتفسير البشرى (اى : العقلى) يشمل الاجتماع بما فيه التأريخ • فاذا حدث أن خمد في الانسان عقله باى سبب كان كالجنون أو السكر أو الخرف أو الخوف الشديد فقد فاعليته الاجتماعية • فاذا غلبت غرائزه انقلب وحشا كاسرا • وفي الطفولة معطل التأثير •• وتلك حقيقة في مرتبة البديهية مهما تم تجاهلها •

كان تجنب ماركس لدور الابداع (دور العقل بصورة شاملة) من ضرورات فلسفته (او : سياسته) فقد كان يعلم بداهة ان اصحاب العمل العضلي من فلاحين وعملة ومسترزقين في صنوف الكدح المختلفة لم يستطيعوا خلال الاف السنين ان يكتبوا اسماءهم ولا استطاعوا ان يفكروا في مستغلقات الكون ولم تجاوز معقولاتهم تصورات هشة مسطحة عما يدور حولهم ويحيط بهم من الكون ارضا وسماء وهى تصورات مضببة جلها بغبار الأساطير • ان هذا القصور الكلي عن خلق الحضارة كان من طبائع التخلف الذى لم يكن له علاج عبر الوف السنين حتى ان الانقطاعى نفسه ظل أمياً وما يزال اميا في بلاد كثيرة وعدوا لكل مظهر حضارى يفضح قصوره • والفلاح بقي ممتنعا من التعلم بأصرار في قرى بلدى الى أن شاهد توظف بعض القرويين بعد فتح المدارس في قراهم فخضع لحافز المال في ارسال ابنه الى المدرسة • كانت حياة الفلاح في كل وجوهها تتعارض مع تكلف الحساب والقراءة عبر متاعب في الدرس تطول شهورا واعواما ثم لا تفيده في شيء على الاطلاق : ماذا يفعل بالقلم والورق وهو

لا يحتاجها مرة واحدة خلال عشرين عاماً ؟ وما انتفاعه من الجذر التربيعي وان مساحة استراليا اقل من ثلاثة ملايين ميل مربع ؟ وما الميل المربع نفسه ؟ لقد بلغ في التخلف انه كان يعتبر فلكيات بطلميوس كفرا والحادا فالارض ما ثبتت مكانها الا فوق ظهر الثور تحتها • هذه الهرآت ما جاءته بتضليل من احد بل ان امام القرية في البلد المسلم لم يستطع اقناعه بأن الثور لا وجود له تحت الارض • ان الريف بفلاحه واقطاعه لم يتقدم خلال ستة الاف سنة اي شيء يذكر وظلت القرية الكردية في اماكن كثيرة من كردستان زرتها قبل ثورة تموز ١٩٥٨ بمستوى القرية في زمن السومريين وأقل منها ايضا • فالحضارة بنت المدينة في تفصيل لا يحاط به هنا ولكن يجب القول بان الاميين واشباههم في المدينة ما كانوا قط مصدر شيء متصل بالحضارة والتقدم الفكرى الا ما كان منها متصلا بالعمل غير الماهر • فالعلوم والفنون والاعمال الماهرة والثقافة عموما كانت مشغلة ناس آخرين لا يشملهم وصف العمل العضلى • فالذى يبدو هو ان اغفال المراحل المتصلة بالعقل كالكتابة والعلوم ونشوء الدولة في نظرية ماركس كان تحاشيا لفتح باب الأعتراض على تضخيم دور العمل حتى لا تنزل درجته والا استحال تسليم الحكم الى البروليتاريا • ولما كانت جماهير الشغيلة غير المثقفة لا تستطيع ان تنخرط في الحكم بسبب نقص عدد الوظائف الحاكمة والموجهة عن استيعابهم فضلا عن ان التقدم نفسه يتوقف بتمكين الاميين من الحكم لزم ايجاد صيغة للحكم تبقي الشغيلة شغيلة وتعتبرهم حكومة في الوقت نفسه فكان (الحزب الممثل للبروليتاريا) هو الصيغة الناجحة والضرورية فهو وكيل الشغيلة • وبعد فواجع في الحقبة الستالينية وسنوات طالت بعد موته صرخت صرخك المدوية بوجوب وقف التدهور والفساد والتعفن فطفا الى العلن ما كان معلوما لكثيرين

من ناس هذه الدنيا • ان التصميم المحكم الحلقات في نظرية المراحل التأريخية والموثقة بسيور متينة من الدايلكتيك ومقولات نقض النقض وتحول الكم الى الكيف وسائر الكلايش اللفظية المرتبة على الورق اثبتت كلها ان العضل لا يستطيع ان يحكم وان التحايل على قصوره بتنصيب وكلاء عنه في الحكم هو في الواقع عزل الشعب كله عن الحكم ومناقشة الحكم ونقد الحكم والحاكمين وان النتيجة المحتومة لهذه الحيل غير العملية هي استمرار دكتاتورية الاقلية بثمن دائم وباهظ من وهن القاعدة الانتاجية الزراعية والصناعية وتأخرها عن انتاجية البلدان الطبقية (المتهاوية بنظر ماركس) كما وكيفا الى حد البؤس • وبدا من تصريحك بوجوب فصل الحزب عن الدولة ان واحداً من اسباب المحنة هو اختلاط سياسة الحزب بكل أصعدة المجتمع حتى صارت الطماطة سلعة سياسية في بلدكم لا تزرع أو تقطف الا بأمر فوقي • وهنا يبرز خطأ خطير من لا واقعية اساسيات النظرية لا أرى له حلا أو تصحيحا فكيف يمكن عزل الحزب عن السلطة وتوجيه السياسة العامة بعدما صار على مدى سبعين سنة وكيل الشعب في تمشية مصالحه ورمز صحة الثورة البروليتارية وتجسيداً للتطور التأريخي في الماركسية فكما قيل انه لا ثورة بدون نظرية ثورية كذلك صيغ المجتمع السوفيتي على انه لا توجد دولة بروليتارية من دون حزب بروليتاري • وكانت نظرية المراحل التأريخية تكفلت بتصفية كل الاحزاب عدا الحزب الشيوعي بحجة افتراضية في ان اختفاء الطبقات حكم باختفاء الاحزاب • وليس في الساحة تنظيم آخر يكون بديلا من الحزب الشيوعي يتكفل بأدامة ايديولوجية من نوع ما يتمركز عليه هذا البنيان النظري الضخم • وما وظيفة الحزب الشيوعي بعيدا من ممارسة الحكم والتوجيه ؟ ام ينقلب الى واجهة صماء من الواجهات الكثيرة التي

كانت تتم بها خديعة النفس بوجود تعدد في التنظيمات يعبر عن تعدد في الارادات ؟ لكن طبيعة الحزب لا تحتمل هذا التجميد بل لا يوجد معنى للحزبية اذا كان يحال بين الاحزاب وبين الحكم • والتلازم بين الحزب والحكم اقوى في الاتحاد السوفيتي منه في الانظمة ذات الاحزاب المتعددة لان هذه الأخيرة لم تجسد فكرة الحكم بحزب معين وانما قامت اللبرالية في الاساس على احتمال تناوب أو تعاقب الأحزاب في نيل الأكثرية الموصلة الى السلطة • على حين بدأت البداية من قبل ثورة اكتوبر على اساس ان حزب البروليتاريا هو الحكومة والمجتمع معا • وبفرض انه امكن عزل الحزب من الحكم فما الحكمة في الاحتفاظ بملايين الناس اعضاء في حزب ميت ؟

اوافقك ياسيدي على ان ربط الدولة بحزب واحد واعتبار الحزبي فيها ممثلا للسلطة والمسؤولية حتى وهو واقف يتفرج على الدوائر الحكومية من الاخطار الخطيرة التي يصاب بها شعب من الشعوب ولكن لا محيص من التفكير في مصير الناس بعد حصول الفراغ السياسي بعزل الحزب : ما هو البديل ؟ لا اظنك تفكر في الرجوع بتدرج على مهل الى نظام تعدد الأحزاب الذي هو بنظر الماركسية تعبير عن تمايز المصالح للطبقات أو الشرائح الاجتماعية •

مما لا يخلو من فائدة ان ابدي ملحوظة في شكل جملة معترضة اقول فيها ان تشكيل الاحزاب لتمثيل مصالح متميزة فيه الخير والبركة ما دام جاريا على اساس حق كل واحد منها في التعبير عن نفسه عبر منافسة سلمية كما هو جار في البلدان المتقدمة حيث تتبدل الحكومات بلا قطرة دم ولم تنشأ بها الحاجة الى استئصال بعضها بعضا ولا انبعثت فيها دكتاتورية فاشية حتى في احلك سنوات ضعفها بعد الحرب الثانية وتفاقم

خطر الستالينية عليها • ولكن الذي يجرى في عالمنا الثالث هو ان الأحزاب قد تنشأ بالاستناد الى اختلاف الايديولوجيا المنقطعة عن المصالح وبناء على الأمزجة وعلى الكيد والاغاظة وحب القهر وما الى هذه الخزعبلات • ونشأت الاحزاب الماركسية في احوال انعدمت بها كل الأسس التى استلزمتها الماركسية نفسها لنشوء الكفاح الشيوعى • وانشقت هذه الاحزاب على نفسها قبل ان يقف واحد منها على قدميه بثبات • ومن الظواهر المهلكة في دنيانا هذه ان نغطر الى استعمال المنطق والتسبيات في امور اعتبرناها سياسية ولم تكن اكثر من الجنون والجريمة والتهديم وقتل الابرياء ••

على كل حال لقد اعتبر ربط الدولة بالنظرية عن طريق ربطها بالحزب اجراء مقدسا كتقدس اعمال الأنبياء • وما اظن ان احدا من اقطاب الدولة السوفيتية واولهم (تروتسكى) مر في وهمه ان القداسة والارتفاع فوق النقد المعزوة الى النظرية وربط الدولة بها ستكون سببا في تمكين النوايا الشريرة بوطنه من تصفيته وتصفية الوف الحزبيين وملايين الكادحين واخضاع المجتمع كله للالهامات النازلة على الشخص المتربع فوق عرش القداسة من دولة البروليتاريا • ومن الواضح ان القداسة نفسها تمنح سيادتك حصانة من الاتهامات المألوفة لاى عمل او قول أو ايحاء ينزل بمقام الحزب البلشفي او بالماركسية عن مستواها فلو كنت في غير مقامك لتعرضت للعقوبة التي يتعرض لها المواطن السوفيتي في تهجمه على مقدسات الثورة • ترى ماذا كان يجرى للروسى الذى اعجبه ان يصف في العلن مهزلة الانتخابات ببعض ما وصفتها به ! اذا كانت المجالس المنتخبة في النظام الماركسى تولد في كل مرة بعملية قيصرية وتخرج الى الوجود ميتة وتخاف خوفها من الأعدام ان تنتقد شيئا من شؤون الكهنوت

الحاكم فكيف يكون حال المواطن الاعتيادى في صدد جلب انتباه المسؤولين الى الخلل الموجود في اساسيات الحكم ؟ كنت اسمع ان الناخب السوفيتى مضطر الى الادلاء بصوته يوم الانتخاب رغم انتفاء المنافسة وعبثية الانتخاب من أصله فكان معنى ذلك اذلال الناخب السوفيتى مرتين : فهو اولا مسلوب الارادة في انتخاب من يريد ومسلوب الارادة ثانيا في عدم الانتخاب ••

لقد جربت في بلدي وشاهدت معارك انتخابية في الخمسينات باتجاه مخالف لرغبة الحكومة وكانت العراقيل ضخمة ولكن لم تكن مستعصية فنجحت في انتخاب حقيقي شاق كان له صداه في البلد ونجح آخرون في اماكن متفرقة وكانوا ينجحون في شكل اقلية عبر مصاعب متفاوتة • ولقد تكلمت في البرلمان وتكلم غيري بنقد موجع للحكومة عهدئذ وكنا نكسب في ذلك صيتا وشهرة واحتراما لا يحلم به نجوم الروك اندرول وتنشر خطبنا ومقالاتنا واحاديثنا في شتى الشؤون وليثق سيادتك ان الحكومة نفسها كانت تحترمنا ونحن معارضون لها احتراماً مبالغا فيه • بل ان النائب الحكومي المثقف كان يقف في احوال كثيرة مواقف محرجة للحكومة قد ترغمها على الاستقالة • وكان العراق في الخمسينات وما قبلها في حلف مع بريطانيا وعليه هيمنة غير خفية من السفير البريطاني فهل يعقل في اي ميزان للمنطق ان تضيق الاحوال بوجه الناخب السوفيتي وهو مؤيد للحكومة اضطراراً باكثر مما تضيق بوجه معارض للحكومة في دولة مهيمن عليها من الاستعمار ؟ ثم ان الذي يدعو اليه سيادتك من تعديل اسلوب الانتخاب يجعل المنافسة بين ناس سبقت تزكيتهم من قبل السلطة وهو بلا شك خروج من القوقعة القديمة وتعديل الى الأحسن ولكن لى ملاحظات هامة في هذا الميدان يمكن أن تخدم هدفك في التصحيح :

لقد قلت ان عزل الحزب الشيوعي عن الحكم أمر صعب وهو كلام صحيح لا غبار عليه فاذا كانت مواصلة التصحيح أمراً مبتوتاً فيه ولا رجعة منه فقد تجدون في (الانتخاب) وسيلة فعالة لتذليل صعوبات التصحيح سواء ما كان منها عزل الحزب أو تغيير الاسس أو تعديلها :

ان مجلسا نيابيا حقيقيا يضم وكلاء الأمة في انتخاب حر نزيه غير مسير من قبل السلطة او الحزب او اجهزة القمع وغير خائف على نفسه من احتمالات الارتداد في المستقبل هو اقوى واضمن دعم يمكن ان تستند اليه في تغيير ما يجب تغييره • والانتخاب الحر في مثل الوضع الذي تريد تصحيحه فضلا عن كونه دليلا قاطعا على جديةالتصميم فيالتصحيح فهوبحد ذاته خلق مناخ صحي منفتح خال من التشنج المتولد من عشرات سنوات الكبت ويحدث الاستئناس لدى عامة الناس بجو رخي منعش يصبح فيه بحث النقص وتحرى الدواء والتحرك نحو التغيير اشياء اعتيادية مألوفة لا تقشعر منها الجلود أو تصطك الركب ولا يكون الاستدراك على لينين او الاعتراض على بعض اراء ماركس زلزالا يقوض اركان الأرض • ويضمن الانتخاب الحر المصحوب بأرادة قيادة امثالك دوام الأحوال السوية الديمقراطية رغم تبدل اشخاص الحاكمين فاذا تركت موقعك بعد بضع سنين فسيكون محصول الارادة الحرة للشعب السوفيتي امتناع عودة الأحوال القديمة • ومهما يكن قرار الأكثرية معيبا أو ناقصا في بعض نواحيه فهو لا يكون كالوحي المنزل من ستالين غير قابل للنقض فالخطأ يمكن تعديله وتصحيحه بالارادة الحرة نفسها التي اخطأت•ثم ان قرار الأكثرية هو في كل الأحوال اكرم واصلح من قرار الاقلية المتمالئة التى لا يجوز نقدها •

اني ياسيدي اذ ابدى رأيي بلا تحفظ تدفعني الضرورة ضمن منطق

هذه النجوى ان اصارحك بما يترا آي لي انه حق فاذا سبق مني القول بتعذر عزل الحزب عن السلطة فلا يكون ذلك مانعا لي من الكلام بحجة انتفاء الجدوى منه مع بقاء الحزب في السلطة ذلك لاني لست في موقع المسؤولية حتى امتنع عن ذكر ما لا استطيع تحقيقه • ولاضمان اصلا لوصول هذا الكلام اليك فضلا عن عدم ضمان اهتمامك به • فانا ملتزم ادبيا ببيان الرأي في مسألة ذات مساس شديد بحياة الناس من حولي لان اسلوب الحكم عندكم يكون له تأثير مباشر في سياسات عموم اليسار • ثم ان لي كتابات سابقة غير قليلة في نقد جوانب غير هينة من الماركسية وتطبيقاتها في الدول الشيوعية وفي اساليب العمل الماركسي على نطاق عالمنا الثالث عامة وبلدى كردستان خاصة • يومها لم يكن سيادتك قد ظهر في افق السياسة العالمية ولا كانت آراؤك ومواقفك مهدت السبيل امام قلمي لتسطير آرائي فانا انساق في نجواى بصرف النظر عن توقع أية نتيجة من تكلف كتابتها ولكنها نجوى منتشة بوجود نية مستنيرة قادرة على التصحيح في الدولة السوفيتية بعثت آمال محبى البشر في اختزال أسباب التذابح بين مناضلى العالم الثالث واستوائهم على سبل اقرب الى تحقيق الممكن من الأهداف • فيكون استرسالى مفهوماً من هذه الزوايا • وليس بالامكان الاحاطة بكل المواضيع والتفاصيل التي تستوجب التصحيح فقد قضت الضرورة ان يكون تناولى لبعض المسائل الوسطى من باب المرور العابر بالشيء وان اقتصر في التركيز على عدد محدود من قضايا الشيوعية التى تعود على نفسها وعلى غيرها من الحركات المتأثرة بها بالضرر وكلها ذات مكان في النتائج السلبية في حياة الدول الآخذة بالماركسية أخذاً محفوفا بالتقديس •

فيما يخص المراحل التأريخية يجب حذف مرحلة الشيوعية الابتدائية

لانها مشتركة بين الانسان الأول وبين كثير من الحيوانات وهي خالية من الاقتصاد المأخوذ في الماركسية سمة للمراحل ومحركاً للتطور . والرق ظاهرة اجتماعية وليس مرحلة لانه بحد ذاته ليس وليد الاقتصاد أو الحضارة ومصدره الاساسي هو الحروب التي يسترق فيها المهزوم بكل طبقاته على ما كان يجري في التأريخ القديم . ويمكن ان يدوم في شعوب كثيرة آمادا بعد اختفائه في شعوب أخرى او ان لا يظهر اصلا في شعب من الشعوب لعدم وجود الظرف المستدعي لظهوره . فالشعب الكردي لم يكن غازيا حتى يسترق غيره ولم يكن ثريا حتى يستعين اصحاب الجاه فيه بالعبيد الى جانب الخدم . ان هذا الفقر حكم باختفاء شعر المديح فيه الا ما ندر فانه لم تنشأ فيه بلاطات الملوك وصروح الامراء والاقطاعيين حتى يحتاج اصحابها الى المديح في مقارعة الخصوم أو يشتروا بنقودهم حلية المديح . وهذا الفقر نفسه حرض اليساري الكردي على المبالغة في الدعوة الى هدم البرجوازية الكردية التي لم تولد عبر التأريخ فانه لم يجد امامه تراثا برجوازيا غنياً بمرافقه من عمارات وتجارات ومصانع وبيوت ازياء ودور سينما وغيرها مما يجده الشيوعي في لندن وروما كي لا يطاوعه قلبه في هدم هذه البداعات . والغريب انه لم يدرك حتى هذه اللحظة السر في تطرفه الزائد وجرأته التي هي بلا حد في مواجهة البرجوازية التي لم تحرك ساكناً ضده او ضد غيره .

الرق طبقة في قعر المجتمع وفي نهاية القهر ولكنه ظاهرة وليس مرحلة وكثير من افراده صاروا ملوكا وقواداً وربما استرقوا اسيادهم القدماء .

والاقطاع لم يولد من الشيوعية الابتدائية او الرق وانما هو يأتي بعد مرحلة الرعي ناشئاً من الزراعة وتملك الارض والاصح تسميته

بمرحلة الزراعة او تملك الارض فليس كل ملاك الارض اقطاعيين ولا كل الاقطاعيين شركاء في الحكم ولا كل الفلاحين اجراء او اقنان وفي كثير من البلدان تنتشر الملكية الصغيرة بين الفلاحين باكثر مما تتجمع عند الاقطاعي .

والحكومة ذات كيان متميز فليست بالضرورة معبأة طبقة اقطاع أو برجوازية . ورأيت البرجوازي والاقطاعي في بلدي يخاف الحكومة باكثر من خوفه من الشيوعي بل انه كان يؤوي الشيوعي في بيته غير شاعر بأية غرابة في عمله هذا . وكان جدار الخوف القائم بين السلطة والناس حقيقة شاخصة عبر التأريخ القديم والاوسط في كل الدنيا ولم يزل قائماً في غالبية اكناف الدنيا حتى هذه الساعة . ويكاد التأريخ يكون سردا متصلا للنزاع بين السلطة وبين اصحاب الجاه العريض الطامعين في الحكم أو الخائفين منه فالصراع في الأغلب كان ضمن نطاق الطبقة نفسها وهو موجود حتى الان في البلدان المتخلفة وفي البلدان الآخذة بالفلسفة الماركسية وكلها تستعمل العنف علاجاً للمشاكل . ولابد من الاشارة الى ان دور (رئيس الدولة) كان عبر التأريخ شيئا متميزا عن مصالح الطبقات فله مصلحة خاصة تثير الاحتكاك بينه وبين المتنفذين . والمجتمع لم يزل عبارة عن اهرام اجتماعية كثيرة لها قاعدة وقمة وفوقها هرم آخر له قاعدة وقمة حتى ينتهي صعودها عند رئيس الدولة وهو قمة القمم . فالشكل الهرمي موجود في دوائر السجون وفي نوادي الليل والسوبر ماركيتات والكراجات وبيوت الازياء ودور الحضانة والعقلاء والمجانين ونعاني في حياتنا اليومية من التعامل مع هذه الاهرامات باكثر مما نعاني من الصراع الطبقي الذي لا ارى له أثراً في مجتمعي الا ما كان منه مظهراً من مظاهر الكسب اليومي الذي لا يثير عراكاً او خلافاً

ملحوظا • وشرحت هذه الظاهرة الهرمية في رسالتي الموسومة (التفسير البشرى للتأريخ) الصادر سنة ١٩٨٥ وقلت في اول الصفحة ٨٧ منها : « وقمة السلطة ان كانت لا تمشق الجماهير أو تتغزل في المفاليس فانها يقيناً لا ترتاح الى اصحاب السلطان الخطير من حولها لخوفها من بطشهم وقد صدقت تجاريب عشرات الدول لمئات السنين صواب هذا الخوف فما سملت عين مليك أو صلمت اذن امير الا بيد المقربين منه » • وصدقت هذه الملحوظة في التصفيات الدموية ايام ستالين فقد دفعته مبالغته في حماية الذات الى تنقية الحزب والدولة من كل عنصر توسم فيه شيئا من التميز وسخر العالم السوفيتي لارادته المتفردة حتى تم تنصيبه الاهاً فعبدته عشرات الملايين من المساكين فباركوا التصفيات بحماس اكثر من حماسهم لاكلة شهية مفقودة في السوق •

والبرجوازية ليست وليدة الاقطاع او الزراعة وانما هي بنت المدينة ونباتها الذى لا جذر له في الريف • واني اعترف بعدم توصلي الى السبب الحقيقي في العقم الحضاري للقرية لان التناسب مفقود بين الكثرة العددية لسكان المدينة وسكان الريف وبين مقدار الحضارة في كل منهما فالمدينة التي يسكنها عشرة الاف يكون عدد المتعلمين فيها الفين اما القرية التي يسكنها خمسمئة فان عدد متعلميها لا يكون الا واحداً أو اثنين • والكلام يخص زماناً سابقا على انتشار التعليم • ويقاس بقية المرافق من عدد المتعلمين فانه غريب حقا ان تخلو القرى في الشعوب التي شهدت احوالها من صانع واحد للبرادع • وكانت لي ارهاصات في تعليل هذا التفاوت الخارج من كل قياس لم تصل حد البرهان المنطقي ولكن قراآت لاحقة لي في الفيزياء شملت جوانب اجتماعية متصلة بها فتحت لعيني منافذ تساعد على مقاربة السبب وليس هذا موضع بيانها •

والاشتراكية تأتي من تطور البرجوازية او من تطور الحضارة ولكن ليس من الطريق الماركسي فان الاساس العضلي والمادي في بنيان الماركسية يقود بالضرورة الى شكل للاشتراكية مبني على القهر : كل اشتراكية تفرض على الاقتصاد البرجوازي وما يتصل به من مرافق في كل الأصعدة ، من خارج نموها الطبيعي وضرورات نمائها تكون ارتدادا خطيراً عن التقدم الحضاري ومؤديا الى ما يشبه حمامات الدم • فلما كانت الماركسية وضعت قاعدتها على اساس اختزال الطبقات اى هدم البرجوازية على حين لا تولد الاشتراكية الا من تطور البرجوازية وليس من موتها فقد وجدنا الماركسية بعكس ادعاآت العلمانية والضرورة التأريخية لم تنجح ابدا في البلدان المتقدمة التي جرى تطورها طليقاً من حكم النظريات ومن نظرات اختزال الطبقات بوجه خاص • ان زيادة عبقرية ماركس وفضل ثقته بنفسه مقترنة بروح التحدي في نزوعاته باعدت بينه وبين التسليم بقوة الحضارة البرجوازية المبنية عفويا وضرورة على الابداع وليس على العضل • وربما كان حسن ظنه بمنطوق نظريته في نهوض التطور على العمل سهل عليه الارتكان الى قوة البروليتاريا في البلدان الصناعية للحكم بحتمية نجاح الاشتراكية في تلك البلاد • ومن السخافة قول القائلين بأن المانع من تحقق توقعات ماركس هو مناهضة قوارين المال واساطين الرجعية لآرائه لان ماركس في تاكيده على قيام الاشتراكية في البلدان الصناعية كان قد أناط تعطيل هؤلاء القوارين والاساطين بقوة الثورة ودواعيها التأريخية الحتمية فالثورة لا تقوم اساسا الا بوجه اولئك ام ترى ان ماركس كان من السذاجة بحيث تعشم مساعدتهم له في انجاح الثورة ضد انفسهم • ثم ان بنيان الصناعة يشمل كل الكوادر الفنية والتكنيكية والتنظيمية والأدارية والتسويقية وغيرهما مما لا حصر

له خارج مفهوم البروليتاريا ولا يمكن عزل هؤلاء عن عملية الانتاج والتوزيع وغيرهما عند التصدى لتسليم المصانع والبنوك والمطارات ومراكز النقل الى العمال غير الماهرين • والثورة الروسية نفسها لم تنجح على الاسس النظرية التى خططها ماركس بل نجحت من حيث كان ينبغى الا تنجح • فلولا ضعف التقدم وفساد الادارة وعفونة عقلية الحكم وهشاشة الحضارة البرجوازية لما كان باستطاعة اصرار لينين وجماعته على الثورة ان يتخذوا من متاعب الحرب المهزومة وانتشار الجوع ذرائع لدفع هبة اكتوبر الى الهدف الذى كان وراء مطامح الاغلبية الساحقة من كل الفئات الثائرة • صحيح انه لولا اصرار لينين لما قامت ثورة بلشفية ولكن صحيح أيضاً ان المانيا خسرت الحرب وجاعت واشتعلت فيها بدايات فتائل الثورة ولكنها بقيت (برجوازية) لان العفونات التى تراكمت في روسيا لم تتراكم في المانيا ولأن برجوازية المانيا كانت متقدمة فامتنعت من الانهيار •• اننا نجد في أواخر القرن العشرين ان الثورات الماركسية لا تنجح الا في البلاد التي ليس فيها بروليتاريا حقيقية اى ليس فيها صناعة وتقدم علمى وحضارى وانتاج مزدهر وهذه ظاهرة مفهومة ومنسجمة مع جدار برلين وفترة ستالين وتخلف الانتاج السوفيتى وصرخة سيادتكم في وجوب التصحيح •

ان الاشتراكية العلمية الحقيقية هي الاشتراكية المتولدة من تقدم الحضارة في كل وجوهها ولاسيما في العلم والصناعة ، ومبنية وتبنى في الأساس على مجتمع حر الاختيار غير مقهور ضد ارادته يملك حرية التصرف والانتقاد ويرفض فكرة اختزال (البشر) تحت عنوان اختزال الطبقات • وغنى عن البيان ان حرية الكل تعنى احترام كل فرد لحرية غيره والا غابت الحرية في يومين • وحرية النقد تعنى بالدرجة الاولى

القدرة على نقد الحكومة واية شخصية عامة في سلوكها الظاهر بلا خوف من العقاب • وعدم اختزال الناس في الاشتراكية الحقيقية هو من طبائع تكوين المجتمعات لأنها لا تقوم لها قائمة الا اذا حوت ناساً متوزعين بالضرورة على انواع متفاوتة من العمل والحرف والمسؤوليات فانه باستثناء حذف (التملك) في الشيوعية نجد تماثلا من حيث التكوين بين المجتمعات من انظمة مختلفة فحيثما ذهبت وجدت الوزير والفراش والحطاب والفنان والمرتفع والمنخفض والمستريح وغير المستريح والجندى وقائد الجيش •• الخ وكان اختزال (التملك) في النظام السوفيتى هو السبب الحقيقى لتخلف اقتصاده وكان بقاؤه في اشتراكية الدانيمارك هو الفارق الحاسم بين تقدمها وبين تخلف اى اشتراكية اخذت بحذف التملك •

ان الحافز الفردى الموجود في فكرة (التملك) الخاضع للضوابط المتولدة من الاشتراكية نفسها هو المضمون الحقيقى لمعنى (المواطنة الحرة) التى لا تستطيع السلطة استرقاقها • فكما ان الاشتراكية الماركسية آلت في التطبيق الى نزع حرية النقد وحرية التملك وحرية التصرف من المواطن فقلبته الى بيدق تحركه اصابع الكادر الحزبى أو الموظف في اجهزة الأمن كذلك ادت اشتراكية السويد باتجاه معاكس للماركسية الى تمتين شخصية المواطن السويدى وتحصينها ضد مطلق التهديد لحريته بابقائها على الحافز الفردى وحرية الأختيار في العمل والتعبير • ففى حين يكون الفرد في اشتراكية ماركس ضيفا في الدار التى يسكنها ومأجورا في العمل الذى يعيش منه ومستعيراً للاثاث الذى يستعمله والتلفزيون الذى يتفرج عليه فيكون سهلا على مديره ان يضايقه في عيشه ويسخره على هواه يكون الفرد المتميز بالحافز وبحرية التصرف وبالتملك متحرراً تمام التحرر من اى انسان آخر في دنياه لان عيشه وأكله وعمله وتلفزيونه

وبينه ملك لنفسه • ثم انه لا توجد قوة تستطيع منع الأكثرية في السويد ان تختار اسلوب الحياة الذى يعجبها فلا يستبعد ان تتحقق الشيوعية الخالية من القهر في واحدة من تلك البلدان الشبيهة بالسويد وذلك بتقدم المستوى الحضارى فيها الى الحد الذى يصبح فيه (الحافز الجماعى) بديلا ضروريا من (الحافز الفردى) بل لا اجد غرابة في ان نجد بعد عشرات قليلة من السنين تطورا في هاتيك البلدان يسمح باختيار كل جماعة من سكانها نمطاً خاصاً بها من المعيشة دون ان يسبب خللا في المصالح ذلك ان ترك الباب مفتوحاً للارادة الحرة المتحضرة خليق ان يأتى بما هو وراء المعجزات الاجتماعية المتصورة فانه اذا صارت الحياة نفسها بدلا من الرغبة الفردية أو شبه الجماعية هي الاستاذة المبتدعة لأكثر اساليب المعيشة توافقا مع المضمون الصالح للاجتماع ، وذلك ليس بعيداً من قوة الحضارة على الخلق ، فان انصراف الفكر الى هيمنة الأحزاب والايديولوجيات واصحاب الهراوات على حريات الناس اقرب الى مفاهيم الغاب والكهوف • الى حقبة النياندرتال •

ولما كانت الاشتراكية الماركسية خابت بالبداهة ان تشيع في البلدان المتقدمة حتى وجدنا احزابها الشيوعية بعد كثير من المكابرة تقبلت أسس حياتها بهجر ما يخالفها من افكار ماركس فانها ـ الاشتراكية الماركسية ـ ما كانت تنجح ، بالبداهة أيضا ، الا في البلدان المتخلفة حيث لا توجد حضارة بورجوازية ترفض الخضوع لقوة العضل وحيث يكون الفقر الشامل والتخلف المزري اكبر ممهد لاحتضان فكرة تبشر باستعمال العضل لتوزيع الثروة بالاضافة الى الحماس النابض بالتوتر الدائم عند التنظيمات الشيوعية المدربة على اساليب الثورة في مواجهة خواء يكاد يكون تاماً من تنظيم منافس متحمس يدعو الى جنة موعودة منافسة للجنة الموعودة من

الشيوعيين • واقول بلا تفصيل انه لا يوجد منافس حقيقى للشيوعية في الاحوال المماثلة باستثناء قواد الجيش الذين يستعملون القوة بدلا من الجنة فالشيوعية تملك رؤية في الاقتصاد وفي الاجتماعيات بصورة عامة متفاوتة في الصلاح وعدم الصلاح حتى انى قلت مراراً وتكراراً لو كنت في الهند وبقى حزب المؤتمر على مستواه في الفاعلية التطويرية وهى دون الحاجة بمراحل لأعطيت صوتى في الانتخابات الى الشيوعيين لانهم في الاقل يجدون حلولا فورية لمشكلة عشرات الملايين من الذين يولدون ويعيشون ويموتون على الارصفة فما جدوى الخطب البرلمانية في مقارعة الموت والمذلة ! وفي رأيي ان الغالبية العظمى من العالم الثالث كانت تصبح شيوعية لولا وقوف دول الغرب (وامريكا بالدرجة الاولى) بوجه ذلك التيار •

واحب ان اؤكد على أنه ليس من المستغرب ما يحدث بعد السيطرة الشيوعية في البلد المتخلف من التصفيات والمذابح فالدعوة هى بالاساس قائمة على اختزال الطبقات بقوة العضل والشيوعية تشيع لا باسسها النظرية التى لا يفهمها واحد من عشرة الاف شخص في بلد متخلف ولا يمكن أن يستمع الى تفاصيلها فلاح يعجز عن شخبطة اسمه على الورق ولكنها تشيع بوعودها السخية الممزوجة بالبهلوانيات التى يعشقها المتخلفون • ورأيت بنفسى شراذم من الشباب الشيوعى في ربيع ١٩٥٩ ترقص ليل نهار في التبشير بقتل كل انسان غير شيوعى • ولو وصلوا الحكم لحققوا احلامهم ثم انتشوا الى أنفسهم يقتل بعضهم بعضا • وهذه حقيقة مفهومة بذاتها واخذاً بالقياس مما فعله پولپوت بعد عشرين سنة من عام ١٩٥٩ في كمبوجيه ذلك ان بلدى اكثر تخلفاً فتكون قسوة العنف فيه اشد ضراوة •

من الفوارق الحاسمة ياسيدى بين اشتراكية تنمو من نفسها وباقتضاء طبيعة تكوينها واشتراكية تفرض بالقوة من خارج وجودها هو ان القائمين بادارة جهاز الاقتصاد في شتى فروعه ناس يفهمون (اللعبة) بالممارسة مضافاً اليه الثقافة ويعلمون حاجات السوق ورغبات الناس وتشابك المصالح المختلفة وارتباط بعضها ببعض : انهم بعبارة مختصرة جزء عضوى متمم لهيكل الاقتصاد في مجموعه يحسون صحته ومرضه كفهم الطبيب لحال المريض ثم انهم مشاركون بالنفع وبالضرر في العملية كلها لاسيما صاحب المشروع او المشارك فيه بجزء من رأس المال فهو يعتبره مثل بيته يبذل له من ذات نفسه بالكد والمراقبة والدفع الى امام وتوفير السوق و.. و .. على حين يأتى المسيطر على الاقتصاد في الاشتراكية الماركسية من خارج الحلبة لا يعلم منها شيئا الا ما تعلمه من نصوص النظرية التى جاءت بالأصل من الفكر وليس من الممارسة حتى ان رجلا مثل برنادشو يقول في بعض ما كتب ان كتابات ماركس لا تنبعث منها رائحة العرق والدخان . وهذا المسيطر النظرى فضلا عن قصوره الشديد فى فهم السوق عموما فهو مشحون بقسط مدمر من الكراهية للاساس الذى نهض عليه البنيان الاقتصادى ولا يهمه في قراراته بسبب الكراهية ذبل أو ازدهر . ثم انه يشبع نوازعه الداخلية من أمر ونهي ومنح رخصة على حساب المصلحة بالاضافة الى ان مكسبه المتمثل في راتبه لا يتأثر سلباً وايجاباً بأحوال المشروع . وبسبب فقدان الارتباط بين راتبه واحوال المشروع ينتهز كل فرصة ممكنة للاثراء الشخصى باستغلال مركزه فيستعين باعوان مثله من خربى الذمة .. الى آخر القائمة من مساوىء فقدان الحرص على المشروع من قبل الجماعة المسيطرين عليه . وبفرض اختفاء الكراهية والنواقص الأخرى فسيظل الفرق بين الممارس الحقيقى والممارس النظرى

للاقتصاد كالفرق بين سائق سيارة اشتغل في السياقة عشر سنين وشخص آخر درس السياقة وتكوين السيارة في الكتب بل الفرق بينهما اكبر من ذلك بكثير فالسياقة مهنة بسيطة اذا قيست الى ادامة مصنع للسيارات . ثم ان الماركسى النظرى الذى يتسلم ادارة مصنع للورق مشحون سلفاً ضد وجود وخبرة وطريقة ادارة صاحب المصنع ويعتبره مصاصاً لدم العمال فيه وانه هو طوق نجاة لهم على حين ليس هو اكثر من انسان معقد جاء بغبائه في الاقتصاد كى يعرقل سيره ونموه لان فهمه للمؤسسات الاقتصادية والصناعية وكل المشاريع الانتاجية وغير الانتاجية فهم مقلوب بدء من بناء التأريخ على العضلات ومرورا بالمراحل المبنية من قوة العضل وانتهاء الى تسلمه هو والعمال غير الماهرين كل الحضارة وان تصوره لبناة المصانع والبنوك والشركات وبقية المرافق في الاقتصاد البرجوازى على انهم جماعة من الشياطين ذات خراطيم لامتصاص دم الناس تصور مريض وتكفى نظرة عابرة للمقارنة بين عموم الاوضاع في لوكسمبورغ وعموم الاوضاع في بلغاريا او المجر أو بولندة لتدرك مدى الفرق بين حياة بنيت على التفاهم والتراضى وحرية الأختيار وحياة بنيت على التحكم وفرض الرأى بالقوة . على مدى تأريخ الحكم الماركسى في هاتيك البلدان لم يكن لمجموع الشعب رأى في رسم السياسات بالقبول او بالرفض على حين لا توجد صغيرة او كبيرة في سويسرة خارج الرقابة الشعبية فبقدر ما تكون اجهزة النشر والاعلام في المجتمعات الماركسية حكراً للسلطة تكون حصة الحكومة منها بقياسها الى حصة مجموع الشعب تافهة في سويسرة وعلى قدر انتفاء حرية الرأى في ظل نظام الحزب الواحد تكون الطلاقة بلا حدود في انظمة تعدد الاحزاب بتعدد الارادات . فاذا كان امتصاص الدم من قبل عفاريت البرجوازية يؤدى الى هذه النتائج الحلوة واذا كان تسلط

البرجوازى (حسب رأى الماركسيين) على الأقتصاد ومصائر مجموع الناس ينتج الأمان والضمان والأزدهار ويحرم التهديد بالسجن والتصفية وقطع الرزق فهل يوجد في الدنيا انسان يحب نفسه ويحب الناس يرفض ان يمتص دمه وتركبه عفاريت البرجوازية بل عفاريت الشياطين ؟ الناس تعيش الواقع المحسوس لا الواقع الموهوم ويتأكد هذا المبدأ بين المؤمنين بالدنيا بأكثر مما يجد له مكانا بين المؤمنين بالقيامة فاذا ضاع الواقع من يد المؤمن بالواقع فقد أفلس نهائيا ومن كل وجه ولا تفيده براهين الارض والسماء في تبرير قلة الرفاه وانعدام الحرية وقيام التهديد مهما تسربلت بالنظريات المقدسة • لقد كتبت منذ زمن بعيد في مناسبة مماثلة يدور الحديث فيها حول تبريرات اليسار لاخفاقاته المتكررة التى عانينا منها بفداحة ، كتبت : خير للناس ان يعيشوا بلا تفسير من ان يموتوا موتا مفسرا • واقول الآن : خير لى ان اعيش في السويد بلا خوف ولا فاسفة من ان اعيش خائفا فاقد الارادة وسط النظريات المقدسة •

ترى سيادتك انى كثيرا ما اسوق كلامى من منطلق مقارب لانعدام الدليل في بيان ما اعتقد ومن زاوية التبرع بتصديق التهجمات على ما يسمى بالمجتمع الطبقى • ومن غرائب الاتفاق ياسيدى انى افقد في هذا راعيا من رعاة قرية اعرفها في بعض سنوات الكساد الخانق بعد الحرب الثانية وقد كانت اجرة الراعى لنصف سنة ثلاثة دنانير مع قوته الشخصى فذهب اليه مثقف ماركسى ملتزم يغريه بالتمرد على استغلاله من قبل اهل القرية في رعيه لماشيتهم فقال له الراعى ببساطة متناهية وبداهة جارحة : يا افندى اعطنى خمسة دنانير حتى اترك مهنتى !!

ان الكلام الموجع الذى يعصر قلبي لم يزل ينتظر دوره في السرد فهل لى ان اطمع في زيادة اعتناء بما سأقوله في واحدة من أخطر وأفتل

اساسيات الخطأ في النظرية ؟ انها المرحلة الأخيرة في سلسلة المراحل التي تنتهى باختزال الطبقات !

هذا الاختزال ياسيدى الذى تحثى به ادمغة الماركسيين منذ بواكير وعيهم مصحوبا بتغليظ الادانة لما سموه بالأستغلال حتى شبهوه بعملية نقل دم حقيقية ، وما رافق ذلك من تسهيل تنقية المجتمع من شروره بمجرد الغاء الاستغلال وافتراض التقدم مفروغا منه بعد ذلك كبروز الشمس بعد انقشاع السحاب ، هذا كله مع الشحذ الدائم لمشاعر الكراهية في المناضل اليسارى ضد الذين يشملهم مصطلح البرجوازى قد جعل الكفاح السياسى في البلدان المتخلفة شيئا متعبا وبغيضا وقريبا من الشلل بسبب الخطر الذى يأتيه من مناوءة اليسار المتطرف له قبل ان يصطدم بالسلطة أو اعوانها فاليسارى المتطرف ينظر بعين واحدة الى كل الجماعات السياسية وغير السياسية التى لا تدين بالماركسية وليس من طبعه ان يهادن او يصالح جهة من الجهات الا على اساس مرحلى تفرضه الضرورة لوجود سلطة تواجهه وتواجه غيره من المخالفين فيعمهم خطر الاعتقال وما هو أشد • فاذا وجد الضرورة في قيام جبهة وطنية فليس ذلك الا تكتيكا وقتيا يحقق به مصلحة لنفسه لا تتحقق بغير الجبهة وهو على اى حال لا يترك فرصة سانحة لتوهين اطراف الجبهة وفضح تكوينها الطبقى واحتمال انحرافها • ولكى لا اظلمه ينبغى القول بان هذا الاسلوب تسرب الى جميع التنظيمات السياسية التى لا تؤمن بالاسلوب الديمقراطى لان ذلك عبارة عن نتيجة حتمية لانحصار ايمان اية جهة سياسية وغير سياسية بنفسها واعتبار ما عداها من النشاطات غير شرعى• والذى يميز غير الماركسى عن الماركسى في عدم ايمانه بالاسلوب الديمقراطى انه ليس متلهفا على الغاء الطبقات فقد كفاه ان يصل الى

الحكم وينفذ رأيه حسب رغبته ويلغى كافة الانشطة السياسية دفعا لخطرها على بقائه في الحكم • لقد أصبح شيوع هذا الاسلوب المستهدف حيازة الحكم من قبل جهة واحدة سببا دائما لتربص المناضلين من جهات سياسية مختلفة بعضهم ببعض والمراقبة المتبادلة في الشكوكية نتيجتها المألونة هى استئصال الجهة المهزومة في (لعبة كراسى) الحكم • واقول من باب المثل انه لما تولى شاپور بختيار المسؤولية في ايران وسفر الشاه الى الخارج واعاد الاوضاع الاعتيادية وأطلق الحريات قلت بضمير مستريح : ان عيد الاعياد وشهر العسل الذى لا بديل منه لاطراف اليسار الايرانى هو التمسك بشاپور لان ذهابه يعنى وصول جماعة واحدة الى الحكم ستقوم بتصفية كل اليسار بلا استثناء • هذا التقليد ياسيدى قد عم عالمنا البائس بضراوة وهو اسلوب يتوافق بذاته وبلا تقليد مع حب السطوة والسيطرة والاستئثار بالنعمة فلا معنى لقصر اللوم فيه على الماركسيين ـ الشيوعيين منهم بوجه خاص ـ ولكن هذا الأسلوب كان يبقى اقرب الى الادانة والشجب وأصعب في التحقيق لولا ان الماركسية اضفت الشرعية التأريخية عليه بجعل دكتاتورية البروليتاريا هدفها الأخير وهو يعنى قصر السلطة في يد الشيوعين فلماذا وبأى منطق تمتنع الجهات الأخرى عن اصطناع آيديولوجيات تبرر لها احتكار السلطة ؟ ثم ان ادانة البرلمانية من جانب الماركسية قضت بزيادة ضعفها وشلل في نموها على نطاق العالم الثالث الذى لم يكن من شأن تخلفه ان يساعد على اشتداد ساعد الديمقراطية • ليس من شك في ان الماركسية كانت لا تقل ابدا عن انظمة الحكم الديكتاتورية في شجب البرلمانية من حيث الاساس وكفى لذلك برهاناً ان اسلوب اختزال الطبقات والتملك الفردى هو في ذاته حكم باعدام تعدد المناهج الذى

تقوم عليه الدمقراطية في اصولها • اذكر أنه قد عم الابتهاج في سنة ١٩٥٠ بفوز حزب الوفد المصرى في الانتخابات فما لبثت اذاعة موسكو أن تكلمت بسلبية شديدة عن ذلك الفوز فانقلب تأييد اليسار له في لحظة عين الى شجب وتشويه وكم ناقشت فساد هذا الموقف مع قادة التنظيم الذى كنت منتميا اليه وانه ليس من نتيجة لاضعاف الوفد الا احكام قبضة البلاط والقوى المرتبطة به على خناق الدمقراطية والوعى الوطنى فلم يفد ذلك في شىء وظل اصرارهم على تصديق اذاعة موسكو •

وزاد من حجم البلاء ان انظمة حكم عديدة قامت على اسس هشة غير سليمة من الاشتراكية فرضت على بلدانها من جانب حكامها وليس برضا الناس أو بعد دراسة لما يناسب الأحوال من صيغ الاقتصاد فكانت بالضرورة مجردة من فوائد اى نوع من انواع الاقتصاد المستند الى قاعدة حقيقية من دواعى الواقع فقد صارت الاشتراكية هدفا بذاتها كذهاب المسيحى المتدين الى الكنيسة ايام الأحد خارج حسابات المصلحة والمهلكة فكان ذلك استهلالا لعصر عجيب غريب من البهلوانيات على كل الأصعدة مصحوبا بالاجهاز الكامل على اى قدر من النقد واى احتمال لانصلاح الحال بالحكمة والمنطق فقد صارت المزاجية والرغبة المتفوقة بالقدرة على تركيع الناس هى أم الاقتصاد ووالد الحريات حتى دخلت عبارة (ياعديم الاشتراكية) في اغنية سياسية تدمها في مناسبة ذكرى ثورة مشهورة احد المطربين المشهورين سنة ١٩٦٤ وكنت حاضراً مجلسها •• ومن البداهة ان الدمقراطية تكون اولى ضحايا هذه الطرائق فلم يكن غريبا ان تجربة تأريخية فريدة من الدمقراطية في الشرق الاوسط ذبحت كالدجاجة بين تصفيق وتهليل دراويش الاثارة الفارغة في كل اليسار المفلس • •

كما تعلمون سيادتكم ، قد كان ظهور الضرر في الدعوة الى اختزال

الطبقات والتمسك بدكتاتورية البروليتاريا داعيا بعض الاحزاب الشيوعية الاوروبية القوية الى اعادة النظر في موقفها القديم المساير لنظرية الاختزال فاعلنت عدم ملاءمة هذا المذهب للواقع الاوروبى المتطور فتخلت عنه ونعم ما فعلت وياليتها فعلت ذلك قبل الحرب الثانية ووفرت على نفسها المواقف المزرية في مسايرتها لاتفاقية هتلر ـ ستالين لكن الذى وقع قد وقع وكان قبل ذلك قد وقعت الكارثة بعدم اتفاق الشيوعيين والاشتراكيين الالمان للوقوف بوجه النازية وامتنع اتفاقهم لاسباب ايديولوجية سخيفة كان ثمنها الاول ان الحزبين اصبحا نخالة خشب في منشار الحزب النازى ثم اصبح الاتحاد السوفيتى نفسه على حافة الهلاك .

فاذا كانت اوروبا المتقدمة لا تحتمل دكتاتورية البروليتاريا اى لا تحتمل اختزال الطبقات فكيف تحصل القناعة بنضوج الاحوال في العالم الثالث لالغاء البرجوازية التى لم تقف على قدميها بعد في اكثر بلاده التعيسة ! ان الاتحاد السوفيتى من موقع كونه قطب التوازن للمعسكر الغربى يستطيع ان يختار واحداً من السبل المتعددة في التعامل مع العالم الثالث ففى امكانه ان يشجع دوام يسار هاتيك البلدان على متابعة الاسلوب الماركسى في اقامة دكتاتوريات بروليتارية تقمع البرجوازية والدمقراطية البرلمانية فيضمن لنفسه انصارا في المحيط الدولى يؤيدونه في الحق والباطل بل ان كوبا تصدر الجيوش بدلا من السكر في خدمة هذا الاتجاه . ولكن المحذور في هذه السياسة سيبرز على المدى القريب والبعيد . ففى القريب محذوران اساسيان احدهما اعتبارى ينشأ من مفارقة كون الاتحاد السوفيتى نفسه يشكو الآثار السلبية من تطبيق الماركسية رغم وجود اسس كثيرة من خبرة وثروة واستقرار ومنعة

للنجاح في حسن التطبيق فيكون تأييده للماركسية في البلدان المتخلفة المجردة من مطلق القدرة على تلافى آثارها السلبية دليلا على عدم اعتنائه بمصالح تلك البلاد قدر اهتمامه في زيادة عدد الحلفاء وبذلك تضعف (المصداقية) كثيراً حسب تعبير هذه الايام . والمحذور الآخر الذى هو موضوعي وليس اعتباريا هو ازدياد التخوف في كثير من حكومات العالم الثالث من خلخلة اوضاعها الداخلية [التي هي في الأصل قليلة الأستقرار] بسبب تعاظم الصراع الطبقي العنيف من حولها وداخل بيوتها فتميل بالضرورة الى معسكر له اتجاه معاكس للماركسية . ومما لا يجوز اغفاله هو أن انقلاب دولة متخلفة الى شيوعية يحمل في طياته بذرة عدم الواقعية لقصور الاحوال فيها عن التعايش مع فكرة اختزال الطبقات فستنشأ فيها مصاعب كبيرة وينهض فيها الدليل مجدداً على ان قص نصف منقار المقلق وبتر نصف ساقيه لا يخلق الشبه بينه وبين الطيور خلافاً لما ظن جحا ـ وهي فكاهة شعبية مشهورة ـ .

والمحذور على المدى البعيد هو استحالة تبلور النضال السياسي في البلدان المتخلفة ضمن صيغة ديمقراطية هي الطريق الوحيد المتصور لخروجها من هاوية التخلف فهي بالتالي الاحتمال الوحيد لتمكينها من التماسك القادر على مقاومة الضرورات المؤدية بها الى الانسياق في سياسة الدول القوية في العالم البرجوازى وان سيادتك تعلم أحسن مني ان رابطة (عدم الانحياز) ستبقى قربة مثقوبة تنفس هواء أو تنضح ماء مع الفقر والقلق والتخلف . فأنا أجرأ من خلال نظري الى الأمور على النحو المتقدم ان التمس منك واصحابك المؤمنين معك بعقيدة التغيير في دولتك ارشاد الماركسيين في عالمنا الثالث الى الاخذ بالواقعية في مناهجهم السياسية واساليبهم في النضال بحذف كل الخصوصيات النابعة من الكفاح

الطبقي العنيف السائر الى اختزال الطبقات لأنها تحول دون تضافر جهودهم مع جهود غيرهم من المناضلين الوطنيين الآخرين واصحاب النية السليمة والارادة الخيرة في شعوب هذا العالم الكسيح • أنا ادرك صعوبة هذا الألتماس ولكن اصر عليه لان توجيه اولئك الماركسيين ضد الاساليب العنيفة الجذرية هو في المدى البعيد [بل حتى القريب من بعض النواحي] البذر الوحيد الذي يمكن ان ينمو ويزكو في مصالح جميع شعوب العالم الثالث بما فيهم الشيوعيون انفسهم ماداموا ماضين مع الآخرين الى الهدف على طريق التضامن الحقيقي لبلوغ مرحلة التنافس السلمي الشريف • يا سيدي : لابد للشيوعي وغير الشيوعي من مناضلي (الايديولوجيات) ان ينبذوا مبدأ الأستئصال وينفوه من وجدانهم نفيا كليا كي يستطيع عالمنا المتخلف ان يتنفس بأمان ويخطو على درب من دروب التطور او ان يستطيع البقاء حيث هو بلا تقهقر في اقل تقدير • وانا أخص الشيوعي بالدرجة الاولى والماركسي بالدرجة الثانية من التماس نصائحك فأن سببه هو ان اولئك الناس اقرب اليكم بحسب قرب العقيدة فهم ادنى الى سماع نصحك وتوجيهاتك فضلا عن ان الاتحاد السوفيتي يملك قنوات كثيرة يرسل منها النصح المشفوع بعوامل الاقناع •

وحتى لا يظن بي الرفيق غورباتشوف ظنون السذاجة المبنية على طيب القلب وسلامة النية مني في انتظار بناء المواقف في السياسة على الرجاء والتوسل والـ (خاطرانة) ارى من حقي على نفسي ان اوضح سبب تساهلي في اختيار صيغ مبنية في ظاهرها على تحريك عصب الشفقة والرحمة بعبارات (الرجاء فيك والتمنى عليك وأنا الدخيل ••) فأنا من موقع فقداني لمطلق القوة اعلم بعمق ووضوح قسوة العوامل الحقيقية والمتخيلة التي تقود السياسي في موقع المسؤولية الى اختيار المواقف

والقرارات • فانا اذ اتوسل اليك في بذل النصح للشيوعي ما اندفعت الى ذلك من باب الغفلة عن دنيا المصالح وانما كان اختياري لهذه الصيغ الضعيفة هو ادراكي لضعفي في عالم القوة لا لضعف حجتي في دنيا السياسة فليس يليق بمن يدرك قلة حيلته ان يتصلب في كلامه ولكن لا لوم عليه في ان يستعمل تمام حقه في الثقة ببراهينه ففي طلبي اليك يا سيدي ورفيقي في الانسانية بذل النصح وما فوق النصح لاصدقائك الشيوعيين في العالم الثالث املك من قوة الحجة مقدارا ضخما هو من الكفاية بحيث اني لو كنت مواطنا روسيا مسموع الكلمة لجاهرت برأيي وطالبت صانعي سياسة روسيا بوجوب اتباعه ودعوت شيوعيي العالم الى الانسجام مع الاسلوب السلمي الديمقراطي الذي يجمع جهود كافة الأطراف الوطنية في انقاذ سفنهم الموشكة على الغرق فلا يفيدهم بعد الغرق صنوف الحجج الدامغة والاسباب الموضوعية وضرورات التأريخ ومصالح البروليتاريا وعصافير الجنة التي أنستهم مخاطر الموت غرقاً والاختناق بالابخرة السامة المنبعثة من الافكار الاستئصالية المهلكة • فانا استطيع أن ارتفع بسمو هدفي وقوة حجتي الى مستوى تسمعني منه وانا اقول : يا صانع السياسة السوفيتية ! اذا كنت تجد بسبب تردي الاحوال في بلدك مبررا قويا لا يقبل المناقشة لنبذ اساليب حياتية تأصلت منذ سبعين سنة وقامت عليها المؤسسات كلها في بلدك وتطلب الى اساطين بناة تلك الاساليب القبول ببدائل أصلح وأفضل وحجتك الغالبة انك تستشهد بتفوق اساليب البرجوازية الغربية التي نهضت الدولة السوفيتية اصلا من نقض تلك الأساليب التي ارتبطت بها ارتباطاً جدليا ـ حسب تعبير الماركسيين ـ افليس من طبيعة هذا الطلب ومن الواجب الأدبي المتولد منه ان تتقدم الى اصدقاء الدولة السوفيتية في الخارج بوجوب تغيير مناهجهم وأساليبهم القديمة لثبوت قصورها بظهور اخفاقها في الاتحاد

السوفيتي ؟ ان شعوب العالم الثالث افقر من ان يتحمل من الصرف على التطرف العقيم المؤدي الى التشرذم جزء من مئة جزء مما صرفه الاتحاد السوفيتي خلال ماضي الزمان • فاذا كان السوفيت بدوامهم على الاساليب الفاشلة يستهلكون الارباح التي كانت خليقة ان تتحقق من الاسلوب الواقعي فان هاتيك الشعوب تستهلك في العنف حياتها بدلا من الارباح والرساميل وتستنفد مستقبلها في مضغ الايديولوجيات الأثرية •

تلك كانت حجة ادبية قائمة على وجوب توافق الشخص مع نفسه على قدر الامكان • الا ان (الأمكان) هنا داخل في نطاق الضرورة لانه مرتبط ارتباط التلازم مع الحجة التالية التى هى الضرورة بعينها في أظهر نتائجها • والحجة هي ان اي بلد في العالم الثالث تستوى فيه الاوضاع وتستقر الظروف وتطمئن الامور بفضل نضال الوطنيين سيكون صديقاً موثوقاً منه للاتحاد السوفيتى بسبب وضوح دور اليسار الديمقراطى فيه وانتفاء عرقلة شيوعية دون نجاحه • قلت « انتفاء عرقلة شيوعية » نزولا على حكم ضرورة تفرض نفسها على المنطق من زاوية اصرار الشيوعيين على مناوءة اى تقدم يحصل في بلدهم عن طريق نضال وطنى مستقل عنهم فهم في ضوء الماركسية التى يدينون بها يعادون كل مكسب اصلاحى يرونه في غير السياق العام لنظريتهم ويؤدى بالضرورة الى تنامى قوة الجهة التى حققته وفي ذلك نقص لقوتهم من جهة وتقوية للحلول الأصلاحية على حساب حلولهم الجذرية من جهة اخرى • هذه السمة التى لازمت النضال الشيوعى في العالم الثالث حتى يومنا ، ولازمته حتى ما قبل عقدين أو ثلاثة في كل الدنيا نبعت ابتداء من مقولات الماركسية في الصراع الطبقي وتأصلت في الحقبة الستالينية ضمن تأصل اشد الاساليب اهلاكا ثم توافقت من ذات نفسها مع التخلف الفاجع الذى

عزل العالم الثالث حتى من حضارة القرون الوسطى بل ان اختلاط الرواسب المتعفنة لقرون متواصلة من الهراء مع رعْوة حضارة القرن العشرين التى طفت على سطوح الحضارة الى الوعى المتحجر في عالمنا الثالث استولده اشكالا وانسالا من ضروب ابتذال الذات تحت عناوين مضحكة الرتوش والنقوش كانت من البؤس والتشوه بما جعلها تتخلف حتى عن حكمة الأفريقى من اكلة لحوم البشر في قوله للمستر چرچل اثناء الحرب الثانية : اذا كنتم لا تأكلون لحوم قتلاكم فما الفائدة من هذه الحرب ؟ ذلك ان نضالات متواصلة لعشرات السنين في عالمنا الثالث خلت من اى منطق نظرى أو فائدة عملية في حساب دقيق لمقدار التضحية الى جانب مقدار التقدم المتولد منها بل ان (الخواء المطلق) يعتبر كسباً كبيراً بقياسه الى ما يحصل على الساحة اللبنانية •• وانا اذ اكتفى بقولى (انتفاء العرقلة الشيوعية) فهو من باب التمسك بأقل الحجج طموحا والا فأن دخول الشيوعيين في نضال مجموع الناس بتوافق تام مع منطق التضامن يجعلهم اظهر شركاء المنفعة • ومن هنا يمكن استشفاف حقيقة ماثلة وهى انه بقدر ارتياح شعوب اوروبا الشرقية من سياسات دولهم يكون حبهم للسوفيت ليقينهم بانكم شجعتم تلك الدول على هذه السياسات • ومن المعنى المخالف لهذه الحقيقة انه كلما زاد ضيق الناس من تلك السياسات زاد تعلقهم بالمعسكر المقابل • ولقد كتبت في مناسبة سابقة ان رد الفعل للشعب البولونى جعله يركع للبابا بعد اربعين سنة من تشريع الالحاد • ورد الفعل نفسه هو الذى زرع جدار برلين واقام قوة الحراسة على طول الحدود المشتركة مع الدول غير الشيوعية ، منعا لهروب شعوب متضايقة من سياسة مفروضة عليها بالقهر • فالاتحاد السوفيتى سيكون هو المستفيد الاكبر بكل المقاييس في ختام تشجيع

سياسة التضامن بين عامة مناضلى العالم الثالث لانه سيكسب اصدقاء حقيقيين طبيعيين ملتحمين مع شعوبهم وليس انظمة حكم فرضت نفسها وتكلف السوفيت اموالا وجهودا لا نهاية لها وبمعانى مما يلحقه من الاتهام بعدم المصداقية جراء تأييد القهر • واذ أسمح لنفسى بالتوسع في هذا الكلام الشاعرى المصحوب بطلب من سيادتك هو في معناه الحقيقى طلب تخليك عن مواقف سابقة ، لم انس لحظة واحدة زخم الاحداث وضرورات الواقع وتشابكات المصالح المتنافية والمتوافقة والمتغيرة على الدوام ولكنى لم أنس ايضا لحظة واحدة ان صياغة السياسات من هذا الجانب أو ذاك عرضة للخطأ والبعد من المصلحة • واذكر في هذه المناسبة كلمة قلتها لسفير امريكى كنت احاوره في مخاطر سياسة كان الامريكان ينفذونها في شرقنا فرد السفير بقوله ان هذه المخاطر not likely اى غير واردة • فاجبته فيما يشبه فقد السيطرة على المنطق ان كل الاخطاء المميتة التى ارتكبتها امريكا على مدى تأريخها كانت قبل ظهور نتائجها تعتبر not likely •• والناس يعزون الى الدول العظمى ولاسيما الغربية منها لطول مرانها في السياسة العالمية ، يعزون اليها مهارة وذكاء وقدرة تدخل في نطاق السحر ولم أزل اسمع منهم من يقول ان فشل جيمى كارتر في انقاذ رهائن السفارة الامريكية بطهران بارسال الطائرات التى تعطلت وتخزت في الطريق كان مثالا عبقريا خارقا للعادة من السياسة الفاشلة في ظاهرها والكاسحة النجاح في باطنها وان انكماش بريطانيا في جزرها امر ظاهرى وخداع نظر ••

لقد قلت لسفيركم في بغداد سنة ١٩٦٥ اثناء زيارته لي وأنا وزير دولة امثل الاكراد في تلك الأيام ان كل مصالحكم في مصر وما قدمتم من مساعدات وجهود عرضة للزوال فبهت الرجل ولكنه أخذ كلامى على

حقيقته في الجدية وآمن به صراحة •• ولست بهذا اريد ان اخرج عن طورى في تشبيه حاضركم بماض لكم كان لى عنه كلام جرى حتى اضمن ارتفاعاً لقدرى بالانتقال من منبر حاورت فيه سفيركم الى منبر اناجي منه غورباتشوف نجم السياسة الدولية والقابض على نصف حظ البشرية في البقاء والفناء ولا قصدت المباهاة بذكر مصارحتى لأخطر سفيرين يصادفهما انسان فلقد جاوزت منذ زمان بعيد طور الانجرار الى الوقوف فوق التل للتلذذ بامتداد الظل فانى وحق شرف الانسانية التى تجمعنا على قدم المساواة حين اغمض عيني وأتمثل زماناً بلا ابتداء وكوناً بلا انتهاء تتشرنق الارض بمن عليها الى حبة حمصة في احساسى وعندما اخلو الى نفسى في أمتار مربعة معدودات من ملكوتى تتهاوى العظموت والجبروت كأوراق الخريف خارج عتبة بابي • ولكن بقدر تقزم المتعملقين وانكماش المتفرطحين في مقاييس تجردى يتعاظم عندى لهفة الخائف ودمع الباكى ووخز الجوع في البطون الخاوية وهذا الذى جشمنى تخطى المحاذير والمعاذير في مناجاتك مصحوبة بكثير من الحرج في شبهة التعاظم اعتذر منها ساعة بعد ساعة الا ان لى عذرا آخر غير منكور القدر في مخاطبتك على السجية ورفع الحرج عن نفسى بتخطى الفوارق الهائلة بيننا فأنا اكبر منك عمرا فلا يمر شهر وبعض الشهر الا واكون دخلت نادى اصحاب السبعين فأصير واحدا من الـ Septuagenarians فتكون مصاحبتى لتدحرج هذه الارض فى دورانها حول نفسها واستدارتها حول الشمس اقدم عهدا ويكون طول محنتى في ذرع مسافة رحلتى السنوية الأهليلجية اطول من معاناتك بحاصل ضرب ٥٨٠ مليون ميل من مدار الارض في عدد سنوات الفرق بين عمرينا ولو كنا التقينا في بعض الصدف قبل خمسين عاما لكنت خليقا

ان امتع ذهنك الصبي في هاتيك الايام بحكايا مسلية تناسب مزاج الطفولة الرائقة عوضا عن هذا الخليط المزعج الذى تقرأه الآن في خطابى من اشكالات العصر المعكرة بدخان البارود • ويراودنى الميل لتذكيرك بما يكون قد خامرك في سنوات تجربتك بأولى درجات الصعود من الرغبة في وصولك الى نزلاء الغرف العالية من مسؤولى الحزب وقادة الدولة ان لم يكن لشيء فلاطفاء الشوق الى لمس تلك الجلود المتميزة في مصافحة عابرة والتقاط تلك الجمل المتدللة في محاورتهم بضخام الأمور • فنحن ياسيدى في نهاية الأمر بشر نلتقي في رغبات ورهبات فليس من قبيل التطاول ان اعيد القول بان بنية المجتمع اخذت شكلها المشحون بصنوف الشرائح والحرف والاهتمامات والمهارات في مستويات متفاوتة بحكم طبيعة المجتمع نفسه في تنوع مصالحه وحوائجه ودواعى بقائه ومستلزمات تقدمه واسباب خوفه وامنه ، ولم يزل حتى يومنا هذا رغم تطوره الهائل في كل الوجهات محتاجا الى من يقوم بمقتضيات السوق ومن يقوم بتنظيف المجارى او ادارة الوزارة او رئاسة الدولة أو مرافق الطرق والثقافة والسجن والملاهى والتكنولوجيا او الوقوف امام الشريط المتحرك في بعض المصانع •• هنالك مالك للأرض ومالك للمتاجر ولكل انواع المملوكات • فالمجتمعات التى بقيت بها كل انواع الملكية والحرف والمهن والشرائح الاقتصادية والعقائدية تباعدت بينها مسافة القدم رغم تماثل بنيانها حتى صار بعضها نموذجا للجنة التى يحلم بها الانسان وانقلب بعضها مسالخ بشرية وظلت المجتمعات الاشتراكية تشكو الموانع والنواقص والمزعجات التى بعضها لا يطاق • فليس الشر كامنا في صيغ اجتماعية بعينها ولا الخير منوطا باشكال معينة اخرى • فاذا مثلنا للخير والشر بجهاز المحاكم فان محكمة في شعب تكون اجهزة اعلامه ونشره

والتعبير عن الذات متاحة لكل المواطنين لهى خير الف مرة من محكمة بلد تملك حكومته كل وسيلة من وسائل التعبير عن الذات ، فاذا كان النظام يضيق بوجود وسيلة نشر مهما تكن ضعيفة خارج هيمنته خوفا انتقاد شيء من اعماله فهو اشد ضيقا بجهاز قضاء يملك حق محاكمة السلطة اذا شكاها مواطن • والقول في هذا الاتجاه يمتد حتى يصل الى مناقشة الفلسفة التى تبتدعها اقلية من الناس تخولها مطلق القدرة على فعل الشيء ومنع الشيء وتسد الطريق حتى نهاية الزمان بوجه اكثرية الشعب في ان تفكر بصوت عال في تبديل نظام الحكم • هل من المعقول ياسيدى ان تتعطل ارادة وحصافة ورغبة مئات الملايين في بلد سادته فلسفة تصف نفسها بالعلمانية وتستند في دعواها الى أظهر الاشياء تأكدا في الوجود هى المادة المحسوسة ثم تصوغ ماديتها وعلمانيتها باضفاء القدسية والأبدية على نفسها دون جميع الآراء والفلسفات والنظريات فلم تترك لأحد اى منفذ ينظر منه الى غيرها نظرة التصديق فكيف يمكن التسليم بأن الصواب جاور العالمين حتى استقر في ذهن انسان واحد متعين بالذات عاش في بدايات عصر الفتوحات العلمية حتى ان كثيرا مما كان يعتبر قبل مئة سنة حقيقة مقطوعا بصحتها ثبت نقصانها او بطلانها ؟ كيف يصح ذلك ؟ ان القرآن وهو بنظر المسلمين كتاب الله ، فيه الناسخ والمنسوخ واختلفت فيه الاجتهادات حتى تشعب الاسلام الى عشرات المذاهب لم يكفر بعضها بعضا وقارب اراء بعض فلاسفته آراء ناس يقولون بقدم المادة فما تهاوت سماوات المسلمين على الارضين فما بال العلمانية المادية تنغمس في ذاتها فتنغلق بالضبة والمفتاح بوجه اى تعديل أو تأويل أو تصحيح ؟ وكيف نسلم بصحتها الكاملة وامامنا دليل النقض فيما نسمعه من سيادتك من الخلل القائم في بنيان المجتمع المرتكز عليها ؟ ويقوم الدليل بخلاف ذلك ايضا

بقيام مجتمعات في منتهى الرفاه والعدل والحضارة هي الطرف المناقض لهذه العلمانية المادية وما نظن ان تلك المجتمعات استطاعت ان تسابق الزمن الا بنجاتها من قبضة فلسفات تفرض حلولا نهائية ! لقد قال لينين في بعض ما كتب بعد نجاح الثورة البلشفية ان البرجوازية بسبب اعتياد الناس لها نتيجة تأصل جذورها في بنية المجتمع ستظهر بأشكال جديدة في مجتمع الثورة فالواجب مراقبتها وقهرها .. والواقع هو ان ظهور ما يسمى بالبرجوازية لا يرجع الى الاعتياد بقدر رجوعه الى طبيعة البشر وضرورات الحياة فالانسان ما لم يكن ناقص التكوين يحب ان يمتلك بيتا ووسيلة نقل وجنينة وأثاثاً مريحا ورصيدا في البنك يورثه اولاده أو يستعين به في حياته ويحب ان يمتلك معصرة او معمل ثياب أو مصنع حدادة تحرره من سيطرة غيره عليه ، فهذه الرغبات مفخرة للانسان ويكون قتلها فيه مجزرة ويعتبر قمعها قرصنة سياسية او اجتماعية او حضارية . ان امتلاك الفلاح لأرضه اكبر ضمان لاستكمال انسانيته والفلاح الذى لا يملك هذه الرغبة هو (مشعوذ فلاحة) دفعته السلطة الى صفوف الفلاحين ولم يكن الاصرار على تحجيم ارادته بفرض المزرعة التعاونية عليه في ايام ستالين الا لقتل اعتزازه بنفسه توصلا الى جعله آلة مسخرة للرغبة الفوقية . لقد عايشنا الفلاح في وطننا فوجدناه لا يفرق بين ارضه وعرضه كلاهما شيء واحد عنده ووجدناه يعز أرضاً ألفها اكثر من أرض جديدة عليه ويشفق على صخلة مولودة في بيته اشفاقا متميزا ولم ازل انا مثل ذلك الفلاح في فضل حبي لفرخ دجاجة مفقوسة في بيتي . تلك من الفضائل او من عوامل الديمومة في الانسان ويكون من قبيل الاعتزاز بالذات في الفلاح ان يدافع باصرار اكثر عن وطن يملك فيه حقلا يحرثه ويزرعه لحسابه واكون مواطناً اكثر اصالة في الوطنية ان

ازداد حبا لوطني على قدر ازدياد حصتي في ماديانه من بيت وجنينة . فعلى قدر حجم هذه المقتنيات تكون كرامتي لوحظت في قوانين بلدي . فاذا قيل ان مشاركة المواطن في خيرات بلده عن طريق الاشتراكية افضل له من ملكية خاصة تثير النزاع وتخلق الاستغلال فاقول ويقول الحق والواقع معي ان اعتبار المشاعية مغنية عن التملك الخاص شيء ظاهر البطلان قبل ان تتقدم الحضارة مديات تطور مشاعر المواطن الى الحد الذى يفقد فيه المتعة من تملك الاشياء ويتنزه ضمير المسيطر او الحاكم من تحريك الناس كالبيادق . ففي احوال روسيا الحالية وعراق اليوم رغم وجود فارق ملحوظ بين مستوى البلدين لم يزل المواطن محتاجاً الى الاحساس بأنه يملك الشباك في جدار بيته ولا يكتفي بالنظر من خلاله الى الخارج كغيره من الساكنين على الشيوع ويحتاج حرية في المطبخ الذى يملكه ويستعمله لمزاجه بما لا يتحقق رضاه من الأكل في كافيتريا الحزب . فالفرق بين حالة التملك وحالة مساواة عامة للجميع في استعمال المرافق هو اكثر من الفرق بين شيوع غابات في الجبال للمواطنين كافة وخصوصية جديقة صغيرة يعتنى بها الفرد في بيته ويهندسها حسب رأيه . ولو اخذنا بفرضية المساواة في الاستمتاع العام والخاص نصل مسرعين الى تنشيط النظريات لازالة الفرق بين حبنا لاولادنا ولأولاد ناس من دول نخاصمها بل نستطيع بشيء من التصوف ان نجد الكرامة في حب اولاد الاعداء اكثر من حب اولادنا . فاذا شاعت هذه الدروشة فسنجد في كل بيت امهات جئن من بيوت اخرى لخدمة اولاد غيرهن من الأمهات ونجد الناس من اطوال واحدة يلبس الواحد منهم لباس الآخر ولا بأس ان يقوم كل واحد من ابناء المجتمع بوظيفة غيره ، اليسوا متساوين في المواطنة ؟

هذا الكلام العجيب الغريب منى سمعته في اواخر الاربعينات من

ماركسيين يدعون الى منله ويردون زيادة حب الوالد لولـــده الى الخلق البرجوازى المركز فيه فقلت لأحـدهم فما سبب حب العصفور والـكلب لصغاره ؟ ام هو من افساد البرجوازية والاستعمار لفطرتهما ؟ فسكت !

ان احدنا ياسيدى لا يرتاح للنوم في فراش غير الفراش الذى ألفـه فلماذا نفرض على أنفسنا نظاماً يفرض المساواة بين الافرشة مـا دام أنسنا بواحد منها لا يضر احدا ؟ فاذا كـــان في تساوى الاشياء حكمة لا نفهمها فلماذا لا نؤجل فرضها الى يوم ترقى فيه مداركنا ؟

ارجو من سيدى الأخ ان ينصفنى حين اقول ان حماسى في عرض وجهات نظرى لا ينبع من مجرد حرصى على راحة المواطن السوفيتى فهو حر أو غير حر في تقبل اشياء لا يحبها ولا يهمه اصلا ما اذا كنت انا وبقية الأكراد على وجه الارض يجوعون او يشبعون فهو قد ألف خـلال سبعين سنة من اشتراكيته ان يتقبل ما لا يسره فكيف يهمه ســـرور الآخرين وهمهم .

انا ايها الرفيق العزيز والمبجل لست متطفلا عليك بما لا يعنيني لانى مؤمن بان نجاحك في تغيير فلسفة الحكم والحياة ببلدك حتى تصبح منسجمة مـع الطبائع بخلاصها من فرضيات واوليات ما بشرت بالخير من وجوهـه المقنعة ولا ادت الى خير خالص من ضروب التعنت ، ان نجاحك هـذا هو باب الأمل في تغيير واقـــع النضال في العالم الثالث شريطة ان يصدر من الاتحاد السوفيتى بيان واضح ينبذ المهلكات الآتية :

١ ـ التطرف في الأهداف .

٢ ـ عقيدة الاستئصال بالتخلى مـــن دكتاتورية البروليتاريا وكـــل دكتاتورية .

٣ ـ اسلوب التدرج في تصفية الحلفاء وشركاء النضال .

ومن الواضح ان هـــذه الاسس توجه النضال بالضرورة ضـــد الدكتاتوريات في العالم الثالث وحيثما كان .

ويساعد على تسهيل الأخذ بهذه الأسس تقليل خطورة (التناقض) في التطور الى الحد الذى تستحقه فقد حدث توسع هائل في فاعلية التناقض لاسباب متعددة تضافرت في العمل على وجهتين : وجهـــة شحذ اسباب الخلاف باكسابها خطورة تأريخية في اعتبار التناقض علة الحتمية في تصفية الطبقات . والوجهة الثانية وجهة معاكسة للاولى ومنبعثة منها وهى توهين العزم في التوجه نحو الوفاق وتجاوز الخلافات لانه توجه ضـــد مقتضى التناقض .

ولا ندرى هل كان من باب السطحية ام من باب الذكاء المفرط ان التناقض نصب خيمته على مساحات واسعة في الاجتماع والطبيعة خـارج مفهومه الحقيقي فقد حصل تساهل مذهل في تسمية اغلب انواع الاختلاف او التفاوت في المصلحة انواعا من التناقض وشاعت مقولة (تناقضات المجتمع) باسراف شديد حتى ساغ ان يصل النزاع والمهارشة في كل تعامل بين بايع ومشتر فيه اى قدر من المساومة وكان الناس قبل شيوع مفهوم التناقض لا يفكرون في استعمال العصى والقبضات او الرجوع عن التعامل عنـــد حصول الخلاف على تحديد الاجر او سعر السلعة . لقد وصل الأمر حدا ان العامل بالاجرة اليومية اصبح يعتبر خائناً لطبقته اذا اخلص في أداء عمله او شكر صاحب العمل فيما يتطوع به من خدمة العامل . صـــارت التحية بين العامل والناس من الطبقات الأخرى في اوقات الغليان كفراً والحـــاداً طبقياً وتفريطاً في توصيات الرفيق ستالين واطالـــة في عمر المستغلين

ومصاصي الدماء • ولم يزل هذا القول السحري الذي اسمه (التناقض) يحتل مقامه المرموق في هيكل الافكار الثورية !

ياسيدي الرفيق ! لست اروم الدخـــول في مناقشة مقولات اليسار الثوري وفرض رأيي في هذا الحوار الآحادي الجانب ولكن ما العمل فـي حضور معتقدات وافـكار صارت مقدسة مكرسة وهي في حقيقتها ســموم وعراقيل واباطيل فالتناقض ليس محرك التأريخ (ولا محرك الفيزياء) ؛ هو حيثما نشأ صار من المهالك التي يجب تجاوزها الى بركات التوافق وليثق السيد الرفيق ان التنازل بنية التفاهم يحصل من جانب صاحب العمـــل الا اذا كانت السلطة هي صاحبة العمل ومـــن النادر ان يحصل التلاقي في منتصف الطريق ولكن الخيبة تحصل حيثما كـــان الخلاف بين مجموع المستهلكين بما فيهم العامل والكسبة والتجـــار والمتسولون والموظفون فلا يدري الثوري كيف ينصب التناقض لولبا للتأريخ في احـــوال يقف فيها الرأسمالي والعامل في جانب واحد • على اي حال لا يعتبر الخلاف حتى في احوال كهذه تناقضاً لان اختفاء أحد جانبي الخلاف لا يكون سبباً لمصلحة الجانب الآخر فالتناقض الحقيقي عبارة عن صورة مـن الخلاف الحـدي الذي يدوم فيه احد الطرفين بزوال الآخر كالخلاف بين جيشين متحاربين وبين المريض وميكروب السل وبين القافلة والحرامي • والماركسيون اذ اعتبروا اختلاف المصلحة بين البروليتاريا واصحاب العمل تناقضا فقـد ابتدعوا سبباً حاسماً لاستئصال الطبقات وما كلفوا انفسهم بحث الكيفية التي قامت وتقوم بها المعامل في جهود الافراد وكيف ان شخصا يجهد عشر سنين او اكثر حتى يقيم معملا للعطور يستخدم فيه عمالا بأجور وبحقوق مضمونة وضمانات مكفولة في قانون العمل فقد وجدوا (الاستغلال) فـي المأجورية من جانب العامل سببا مبرراً لاختزال دور صاحب المعمل ومعه

الفنيون والآخرون من غير اصحاب العضل • ثم انهم ما سألوا ولا اجابوا عن سؤال من يقول ان بلادا متحضرة كثيرة بقي فيها التعـــاون بين رب العمل والعمال وهي اكثر تقدما بمراحل كثيرة من اي بلد اتخذ التناقض سببا للتصفية • لو كـــانت الخلافات في المصلحـــة التي وصفها اليسار بالتناقض هي في حقيقتها تناقضات وتفاسخات لما امكن ان يوجـــد مجتمع بشري كالذي وجد عبر الزمن فانه بمثل ما امكن تعايش الانسان مـع الكلب ولم يحصل تعايشه مع الذئب لبقاء التناقض بينهما متمثلا في بقـــاء غريزة الفتك في الذئب كذلك امكن ان يتعايش اصحاب المصالح المختلفة في القرية والمدينة لعدم وجود التناقض المانع من التآلف حتى ان تعـايش الفلاح مع الاقطاعي (او صاحب الارض) استمر الاف السنين لعـــدم وصول الاختلاف بينهما الى حـد التناقض (الا في حـالات القهر كالرق والقنـــانة) والا لاصبح استمراره مستحيلا لان المتناقضين المتجـاورين المتداخلين لا يكونان خامدين فانك اذا وضعت الفأر والقط في قفص واحد آل التناقض بينهما الى اختزال احد طرفيه • واذا وضـــع نمر واسـد متجاورين قتل احدهما الآخـر او اتصل الماء بالنار انطفأت النار او تبخر الماء • ان تعايش الناس بلا غليان في كل اشكاله التي جرى بها التعايش هو دليل انتفاء التناقض وان كان محتويا على اشكال كثيرة من اختلاف المصالح • والتمثيل بالقط والفأر في هذا الـــكلام كـــان من باب زيادة التوضيح في معنى التناقض وفي تجـــاهل اليسار للفرق بين الاختـــلاف والتناقض •

لقد حدث ان شيوع فـكرة التناقض في عالمنا البائس جرى بعـــد الحرب الثانية وخلال زمان متناه فالقصر اقدره بشهرين او اقل فلم تكن الحقائق الاجتماعية في مجملها وفصلها قد تغيرت اطلاقاً ليتوهم المتوهم ان

الواقع الجديد قد شحذ الخلاف الى حد التناقض • وكان اتجـاه مرددي كلمة التناقض هو بالضرورة شحذ الخلاف الطبقي ودفعه الى المهالك بغباء شديد وضد هدف وطني ومصلحة قومية كبرى تستدعي توحيد الجهود ولاسيما في ساحة النضال الكردي حيث كان الواجب الوطني مزدوجا : نضال سياسي لعموم العراق بوجـه الحاكم ونضال قومي للحصول على اعتراف رسمي بالحقوق القومية للشعب الكردي وكـان كلا النضالين يتنافى كلية مع بلورة الخلافات في حرب طبقية • ان غلبة (التناقض) على اذهان اليسار في عالمنا الثالث الكسيح أنست مهاويس النضال ما كانوا يرددونه من وجود تناقض كبير وتناقض صغير حتى ان القومي الـكردي المشبع بالاخيلة الماركسية لم يتورع من منافسة الشيوعيين والمزايدة على تأجيج الفروق الطبقية في المجتمع الكردي • كان القومي الكردي ينتقي صيغا من الماركسية ومن اقوال لينين وستالين يتخذ منها شرعية انشغاله بالنضـال القومي ويسترضي بها الشيوعي في العراق عن سلوكه وكأنه يمارس عملا مشبوها يحتاج الى تزكية • لقد صرف مناضلو اليسار في بلدي خمسين سنة في دفع الحركة الوطنية نحو ما يشبه المستحيل عن سبيل ربط الوطنية بالطبقية الماركسية مستهدفين تغليب الطبقية تسهيلا لدمج النضال كله في الأممية وسحب البساط من تحت ارجل الديمقراطيين الحقيقيين فلا يثبتوا على اى ارض صلدة في كفاحهم من اجل الديمقراطية • امـا مـكاسب البروليتاريا فانها كـانت لا تتحقق في ظروف العراق عهدئذ بغير الاسلوب القانوني المعترف به في سـوح المحـاكم والممارسات القضائية المعززة بالقوانين • ولم يكن متصورا ضمان حق واحـد للبروليتاريا بتحـدى السلطة في الجهر الا اذا كـان مـن نتائج التحدى وصول الشيوعيين للسلطة • وهكذا درنا فيما يشبه الحلقة المفرغة على قدر ما تعلق بوضوع

النضال السياسي بالكفاح الطبقي •

ياسيدى ! ان فصـل البروليتاريا عن مجموع الشعب بالاستسلام لوجود (تناقض) جذرى بين مصالح الطبقات والايمان بعلاج هـذا التناقض عن طريق الحل الجذرى الأستئصالى حكم باستحالة شيوع الديمقراطية في العـالم الثالث لانه بفرض ان قوى الديمقراطية المؤمنـة برأى الأكثرية والمنافسة السلمية قد احكمت خططها ونظمت صفوفها لارغام السلطة على اجراء الانتخاب الحر فانه ما دامت الجهـة المؤمنـة بفصل البروليتاريا عن مجموع الشعب ماضية في اساليبها التقليدية الاستئصالية فليس امـام قوى الديمقراطية الحقيقية سوى احد طريقين : فامـا ان تتخلى عن نشاطها السياسي تحاشيا للاصطدام مع الماركسيين واما ان تقف موقف التصـدي والمناهضة لهم وفاء منها بواجبها في تحقيق الديمقراطية • وتستمر هـذه الحال على مدى الزمان حتى تتحقق احدى النتيجتين فاما ان تبعثر الماركسية بطول الاخفاق المؤدى الى الانكماش واما ان تصل الشيوعية الى الحـكم • وهنا اشكال كبير نفهمه نظريا من فساد الحل المفروض بالقهر ونفهمه واقعيا من الاحوال السائدة في الدول التى طبقت الاشتراكية بالكرباج ونفهمنـاه بوضوح أشد من وضوح المصاعب في بلادكم بعد سبعين سنة من الاشتراكية النازلة من أعلى رغم الامكانات والثروات الهائلة في دنياكم ونعلم سلفاً ان وصول (الحل الجذري الطبقى) الى الحكم في اى واحد مـن هاتيك البلدان المتخلفة سيضمن دوامه بكنس كـل مـا هو مستقل من رأى او موقف او مصلحة حتى ولو كلفه ذلك اختزال المجتمع الى ربع سكانه ثم يجمد التأريخ فيها عند مرحلة ستالين فهو في تخلفه وتخلف البيئة التى يمارس فيها السلطة يكون اقدر على التفاهم مع اعتق الاساليب في التوجيه والانتاج ويقدس جدار برلين ويكره غورباتشوف او خليفته وكل انسان

يشكك في صحة الشعارات التى وردت في البيان الشيوعى منذ قرابة قرن ونصف قرن • فالمشكلة ياسيدى في حجمها الحالى كبيرة وفي حجمها الأحتمالى محيرة لا يخترقها النظر •

سيدى الرفيق : كل نقد ورد في هذه النجوى لدكتاتورية الطبقة العاملة هو في الوقت نفسه نقد لمطلق الدكتاتورية • اما انى اركز كلامي في الماركسية بالدرجة الاولى فلان مفتاح الحوار هو موقفك من الاحوال التى وصلت اليها بلادك • وما طرقت باب سياستكم الخارجية التى تقدمت كثيراً في عهدك ، فلها مجال آخر • وتركت تفاصيل الكلام في ماجريات الاخفاقات والنجاحات في المعسكرين والدخول في بيان سبب الاخفاق والنجاح هنا وهناك لان ذلك فوق الامكان المتوفر امامى • وتركت الكلام ايضا في نجاحات التجربة السوفيتية لان الذى هو نجاح سيبقى بلا تزكية أو تبرير مني ومن غيرى •

سيدى الرفيق ! لا اطيل عليك الحديث باكثر مما طال وخلاصته ان علاج العلة لن يكون في الانشغال بالهوامش دون الاسس وهو يقتضى اعادة النظر في مسلمات اساسية سار عليها اسلوب الحياة السوفيتية منذ قيامها • وخير مقياس لاكتشاف الاسلوب الخاطىء والصحيح هو النظر بحياد وموضوعية الى الطرائق المتبعة في المرافق الناجحة بالبلدان المتطورة ذات الانظمة الاقتصادية المسماة (برجوازية) فتكون هى مفتاح معرفة الخلل في الاساليب المستعملة بمرافقكم الفاشلة ولا داعى للتخوف من تسرب افكار لا تنسجم مع انجيل الماركسية فليست الغاية في محاولة التصحيح تخليد النظريات التى نبعت منها الأخطاء : يجب التعامل مع آراء اصحاب النظريات على انها اقوال بشرية تحتمل الخطأ • ولقد قلت في مناسبات كثيرة وكتبت في اكثر من مناسبة انى تمنيت لو ان لينين عاش عشر سنين

اكثر مما عاش وان ماوتسى تونغ مات قبل موته بعشر سنين فأن لينين ، حسب رأيي كان واقعيا قادرا على تصحيح نفسه رغم ثقته الزائدة بآرائه ومواقفه منعته من ان يرى عذر الآخرين فيما خالفوه فيه • فاذا تصورنا ان آراءه في العشرينات عرضت على (لينين) في الثلاثينات لحذف جانبا من آرائهالتى لم تتحقق • و (ماو) كان في جميع مراحل نضاله حتى غلبت عليه عوامل كلال النظر مثالا للواقعية فقد عرفته بوضوح من خلال كتاب ادغارسنو red star over china المؤلف سنة ١٩٣٦ ومن خلال تصرفه وآرائه في السنوات الاولى لوصول الحزب الشيوعى الصينى الى الحكم فبدأ يتعثر فيما يشبه الذهول عن الذات •وبقى شوان لاي وحده رجل دولة بمعنى الكلمة فوا اسفاه على موته المبكر • وانت اليوم ياسيدى وارث فضائل كل من سبقوك ومناط الرجاء في تجنيب بلادك وعموم اليسار اخطاء كل من سبقوك • انى وان كنت لا احب منك المخاطرة بطلب المستحيل لان فقدك لا يعوضه عوض ولكنى اعرف ان الوقت امامك قصير فانه من الممكن ان تنشط امريكا لعرقلة خططك خوفا من انطلاقة الطاقة المنتجة للانسان السوفيتى بتصحيح الصيغ الاثرية فيكون موقفها المناوىء لك دعما للتيار الارتدادى ضد مساعيك داخل بلدك • ثم ان زخم عمل ضخم مثل عملك يكون عنفوانه وفاعليته في بدايته المنطلقة فلربما كان تراخى الزمن مؤديا الى تسرب الوهن والكلال نحو حماس المؤمنين به وان خيبة الآمال المتعشة ذات اثر خطير في نتائج الأنشطة الخيرة •

وكنت اتمنى ان اتوجه بخطابى اليك في ظرف تكون الشيوعية المحلية فيه على وفاق مع حكومة البعث قطعا لتأويل من يحمل كلامى على التشفي أو من باب انتهاز الفرصة وما الى هذا الهراء ، فانى سبق ان

كاشفت الرأى العام بمعتقداتى المماثلة لما هو مطروح في هـــذا الخطاب وقت ان كان الحزب الشيوعى العراقى مشاركاً للحكم مع حزب البعث في اغلب سنوات السبعينات فليس في ما اقوله هنا او قلته في السابق غيـــر محض الصدق الذى اؤمن به والخير الذى اقصده • والعيون اذا لم تغالط نظرها تستطيع ان ترى الاشياء على حقيقتها •

ولست في بيان رأيي عى هذه الصفحات وعلى غيرها في ســـابق المناسبات الا معبراً عن ذاتى فليس لى أتصال بأحد من الناس أو أية جهة سياسية على وجه الأرض وكان بابى الى ولوج دنيا المصارحة هو التجرد من كل العلائق التى تؤثر سلباً في مضمون الرأى حتى تنزل به عن ان يكون موضع اعتزاز صاحبه •

وفي الختام لسيادتك كل الاجلال مشفوعا باخلص تمنياتى وأصدق دعواتى لك بالتوفيق وبثت من حولك تعاويذ تسلسلت الينا عبر الاجيـال ادفع بها عنك عادية العين واللسان فاقبلها كما تقبل هدية اثرية من انسان مجهول الهوية في عالمك العريض •

بغـــداد : ١٩٨٨/٨/١١ •

السعر دينار واحد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٢٥٣ لسنة ١٩٨٨